الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

قسم الفلسفة

الموضوع:

الهيكلة التربوية والاجتماعية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة

دوسن حليمة

- إشراف

مزواد نسيبة

السنة الجامعية (2016/2015)

المقدمة:

يحتاج المجتمع البشري بغية الارتقاء الى الانسانية الى تهذيب جملة الغرائز الكامنة فيه كغريزة حب التملك، والسيطرة،و تقنين جملة سلوكياته حتى تتناسب والطابع القيمي العام ،فمحاولة صناعة الانسان المتشبع بإنسانيته المستقل في هويته، المدرك لذاته ،المتفاعل لذاته المتعايش مع الآخر وفق أطر راقية و قواعد متفق عليها ترافقه في مختلف مراحله العمرية حتى يسهل عليه الاندماج في الحياة بأفكار راقية تخدم الآخر .

لذا كان فكر كبار الفلاسفة منشغلا بضرورة تهيئة الانسان وفق أطر تربوية حضارية سليمة ،فالجانب التربوي أخذ نصيبه من الدراسة عبر العصور انطلاقا من الفلسفة اليونانية التي يعتبر مجتمعها من اهم المجتمعات التي حظيت بنظام تربوي فعال انطلاقا من الاسرة مرورا بالمعلم الذي يرافق الطفل طيلة مشواره، اين يكتسب مجموعة من المهارات والقيم والاهم من ذلك طاعة القانون .

أما في العصور الوسطى فقد ركزت الاديان على الجانب الروحي في الانسان وزرع قيم المحبة ،والتسامح والابتعاد عن الشهوات و النزوات ليكون مستعدا للحياة الاخرى بعد ان كانت حياته الاولى مأساوية ،ولعل من ابرز الديانات التي ركزت على تربية الفرد نجد الدين الاسلامي الذي افرد نصوصا خاصة لهذا الموضوع ومن ابرز من درس هذه النصوص و توسع فيها مالك بن نبي الذي انطلق من واقع المجتمع العربي و حاول جاهدا إصلاح الفرد من خلال تقديمه لمشروعه التربوي الاجتماعي فيا ترى فيما تمثل مشروع مالك بن نبي التربوي و الاجتماعي ؟

و هذه الاشكالية تفرع عنها جملة من المشكلات الجزئية تمثلت فيما يلي :

- ما هي المحاور الكبرى التي انطلق منها مالك بن نبي في تأسيس المنظومة التربوية والهيكلة الاجتماعية في اعادة صقل و توجيه الافراد؟
- كيف كان مفهوم مالك بن نبي للتربية وفيما تمثلت اهدافها؟
- ما هي الشروط التي تقوم عليها التربية الاجتماعية في نضر مالك بن نبي ؟
- كيف يساهم عالم الافكار في تفعيل الطاقة الحيوية و تسخيرها في بناء الحضارات ؟
- ما هو دور الدين والأخلاق في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ؟
- كيف تساهم التربية الاجتماعية في نشر ثقافة التعايش ؟
- ما هي اسباب و مظاهر التخلف في فكر مالك بن نبي ؟
- هل استطاع مالك بن نبي ان يشخص الامراض التي تعيق تقدم المجتمع ؟
- هل نجح منهجه في القضاء على هذه المعيقات من اجل بلوغ الاهداف التنموية داخل المجتمع العربي الاسلامي ؟

- هل وجدت نظريته في اعادة بناء و تأسيس المنظومة التربية صدى في مجالها الحيوي التطبيقي؟

ومن اهم الدوافع التي دعتني للدراسة الموضوع ما اجمله في دوافع ذاتية وأخرى موضوعية .

دوافع ذاتية:

شغفنا بمعرفة هذا المفكر أكثر خصوصا أنه جزائري تناول الكثير من القضايا و مواضيع العصر.

دوافع موضوعية:

قلة الدراسات الاكادمية التي تناولت موضوع التربية خاصة في فكر مالك بن نبي وكثرة المواضيع التي اختصت بالثقافة والحضارة .

إبراز اهم القضايا التي طرحها مالك بن نبي في تأسيس المنظومة التربوية والهيكلة الاجتماعية واهميتها في اصلاح أفراد المجتمع.

وقد تم تقسيم البحث الى مقدمة و ثلاث فصول و خاتمة .

المقدمة اشتملت على الاحاطة بالموضوع والإشكالية التي سيتم دراستها في البحث ،وتضمنت أيضا المنهج المتبع و أيضا الأسباب التي دفعتني للبحث في الفكر التربوي للمفكر الجزائري مالك بن نبي .

الفصل الاول جاء بعنوان مالك بن نبي و نظريته في التربية تناولت فيه شخصية مالك بن نبي و تكوينه الفكري كما تناولت التعريف بمؤلفاته ،والعوامل التي ساهمت في تكوينه الفكري ،خصوصا فيما يتعلق بتأثره برجال العلم والمعرفة .

وتطرقت ايضا الى رحلاته وسفرياته من الجزائر الى فرنسا ،مصر ،و أخيرا عودته الى الجزائر .

الفصل الثاني جاء بعنوان معالم الهيكلة الاجتماعية في الفكر التربوي لمالك بن نبي والذي تناولت فيه التعريف بالتربية الاجتماعية ،الموضوع ،والشروط ، والأسس .كما تطرقت الى الاخلاق باعتبارها ركيزة أساسية يقوم عليها المجتمع ووضحت الدور الذي تلعبه في هيكلة شبكة العلاقات الاجتماعية ،وكيف تكون قوية إذا ارتكزت على مبادئ اخلاقية و كيف تنهار و تتمزق تلك الشبكة إذا ما تخلت على الضوابط الاخلاقية التي كانت تحكمها .

و أخيرا تطرقت لتوضيح دور الدين في المحافظة على تماسك المجتمع و تعزيز علاقته .

الفصل الثالث تطرقت فيه الى توضيح أهم العوامل والأسباب التي ساهمت في إحداث التخلف وكمثال على ذلك الامراض التي تصيب المجتمع ومن بين هذه الامراض التي دفعت المجتمع نحو دائرة التخلف ،القبلية للاستعمار ،الميل الى التكديس

كما تطرقت لمقومات النهوض الحضاري التي يراها مالك بن نبي مهمة في دفع المجتمع نحو التقدم

كما تطرقت لأهم الشروط التي اقترحها مالك بن نبي في مشروعه الحضاري و جعلها أرضية صلبة تقوم عليها الحضارة حصرها مالك بن نبي في ثلاثيته المشهورة (تراب + وقت+ إنسان)بالإضافة الى تحقيق عنصر الفعالية في المجتمع و بناء الانسان الجديد غير القابل للاستعمار من أجل بناء حضارة قائمة على اسس قوية

أما المنهج المتبع هو المنهج التحليلي لانه يناسب الموضوع أكثر ،وختمنا بخاتمة تضمنت حوصلة للنتائج الجزئية ووظفننا لانجاز البحث مجموعة من المصادر و المراجع أهم المصادر المعتمدة كانت لمالك بن نبي أهمها شروط النهضة ،ميلاد مجتمع ،القضايا الكبرى أما بالنسبة للمراجع الاساسية والتي تعتبر دراسات منفردة حول مالك بن نبي نجد كتاب محمد العبدة بعنوان : مالك بن نبي مفكر اجتماعي و رائد إصلاحي ،محمد عاطف بعنوان : معوقات النهضة و طرق علاجها في فكر مالك بن نبي ،عابد ميهوب بعنوان : الفكر التربوي عند مالك بن نبي

العوائق والصعوبات:

قلة المراجع المتخصصة في موضوع التربية عند مالك بن نبي كونه لم يتطرق في كتبه لموضوع التربية بشكل واضح وصريح.

الاشكال

مالك بن نبي:شروط النهضة ، تر:عبد الصابور شاهين،دار الفكر،دمشق،1960.	41

الفصل الأول

مالك بن نبي ونظريته في التربية

الفصل الثاني

معالم الهيكلة الاجتماعية في الفكر التربوي عند مالك بن نبي

قائمة المصادر والمراجع

الأشكال

الفهرس

الفصل الثالث

معيقات التنمية في فكر مالك بن نبي

الفهرس

مقدمة عامة	**أ - ت**
الفصل الاول :مالك بن نبي و نظريته في التربية	
تمهيد	6
المبحث الاول :مالك بن نبي و تكوينه الفكري	7
حياة مالك بن نبي	7
العوامل المؤثرة في تكوين مالك بن نبي	11
التعريف بمؤلفات مالك بن نبي	13
المبحث الثاني: في مفهوم التربية	16
تعريف التربية لغلة و اصطلاحا	16
مفهوم التربية عند الغزالي	17
مفهوم التربية عند جون ديوي	18
أهمية التربية	20
المبحث الثالث : معالم الفكر التربوي عند مالك بن نبي	22
مفهوم التربية عند مالك بن نبي	22
أهداف التربية عند مالك بن نبي	26
أبعاد التربية عند مالك بن نبي	30
خلاصة الفصل	34
الفصل الثاني : معالم الهيكلة الاجتماعية في الفكر التربوي عند مالك بن نبي	
تمهيد	37

المبحث الأول : التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي	38
مفهوم التربية الاجتماعية	38
موضوع التربية الاجتماعية	39
الشروط الاولية للتربية الاجتماعية	42
المبحث الثاني : أسس التربية الاجتماعية	44
بناء شبكة العلاقات الاجتماعية	44
عالم الافكار و دوره في تفعيل الطاقة الحيوية	45
تأثير عالم الأشياء على شبكة العلاقات الاجتماعية	46
المبحث الثالث : دور التربية الاجتماعية في تعزيز علاقات أفراد المجتمع	48
دور الدين في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية	48
الأخلاق و دورها في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية	50
التربية الاجتماعية و دورها في نشر ثقافة التعايش	53
خلاصة الفصل	54
الفصل الثالث : معيقات التنمية في فكر مالك بن نبي	
تمهيد	57
المبحث الاول : أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي	58
القابلية للاستعمار	58
مرض السهولة	60
انخفاض الفاعلية و الميل الى التكديس	61

المبحث الثاني : مظاهر التخلف في فكرمالك بن نبي	64
تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية	66
طغيان عالم الافكار	66
طغيان عالم الاشياء	68
المبحث الثالث : مقومات النهوض الحضاري عند مالك بن نبي	69
عوامل تشكيل الحضارة عند مالك بن نبي	69
تحقيق الفاعلية في المجتمع	71
بناء الإنسان الجديد غير القابل للاستعمار	73
خلاصة الفصل	74
الخاتمة	76
قائمة المصادر والمراجع	78
قائمة الأشكال	80

تمهيد :

تعد التربية عملية إنسانية تهدف إلى الحصول الإنسان السوي والذي تتناسب أفكاره مع متطلبات المجتمع و بما ان المجتمع العربي أصبح يعاني من التخلف في مختلف المجالات ،لذلك يرى مالك بن نبي بضرورة إعادة الهيكلة للمجتمع انطلاقا من الفرد باعتباره الركيزة التي يقوم عليها المجتمع من اجل الخروج من الازمات التي يعاني منها و لا يتم ذلك إلا من خلال التربية إذ تعد هذه الأخيرة قاعدة صلبة يقوم عليها كل مجتمع متحضر ولهذا نجد أن مالك بن نبي قد وضع مشروعه الحضاري انطلاقا من هذه النقطة الاساسية التي بواسطتها فقط تصل المجتمعات إلى ذروة التقدم .

المبحث الاول: مالك بن نبي وتكوينه الفكري

التعريف بمالك بن نبي :

هو مالك (صديق) بن الحاج عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي ولد في 1 جانفي 1905 الموافق ل 5 ذو القعدة 1323 هـ بمدينة قسنطينة، يقول مالك «كان مولدي في الجزائر عام 1905 أي زمن كان يمكن فيه الاتصال بالماضي عن طريق آخر من بقي حيا من شهوده و الاطلال على المستقبل عبر الأوائل من رواده »[1]

كان أبوه عاملا بسيطا في الإدارة الحكومية بمنطقة تبسة، بينما أمه السيدة زهيرة فقد كانت تساعده من خلال عملها في الخياطة ارتحلت عائلته إلى مدينة تبسة ،ثم لحق بها بعد أن مكث عند أقاربه في قسنطينة ،وقد نشأ مالك بن نبي في عائلة محافظة ،تعيش على شظف العيش ، الشيء الذي ترك عمه يكفله في قسنطينة، ثم اضطرت زوجة عمه أن تعيده إلى والديه في تبسة بعد وفاة عمه الأكبر الذي تبناه منذ أمد بعيد يقول مالك: «لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمي الأكبر في قسنطينة وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجته تعيدني إلى أهلي في تبسة على الرغم مما خلق ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي »[2]

وفي وسط من الفقر المدقع، وواقع اجتماعي هش، عاش مالك بن نبي في أسرة وبيئة عادية كغيره من أطفال الجزائر يقول مالك :« كنت في السادسة أو السابعة من عمري، وكان وضع عائلتي قد ساء ماديا، فجدي لأبي باع كل ما تبقى بحوزته من أملاك العائلة، وقد هجر الجزائر المستعمرة ليلجأ إلى طرابلس الغرب »[3]

وفي هذا الواقع الهش عاش مالك كغيره من الأطفال، وقد كانت قصص جدته هي المدرسة الأولى، التي تعرف من خلالها على جرائم الاستعمار إزاء بلده الجزائر كما تعلم منها القيم والأخلاق الإسلامية .

1-مالك بن نبي:مذكرات شاهد القرن،(دار الفكر،ط2،دمشق،1984)،ص15.
2-المصدر نفسه،ص18.
3-المصدر نفسه،ص16.

أرسل مالك إلى المدرسة الحكومية ، كما أرسل إلى الكتاتيب ليتعلم القران الكريم « لقد أرسلوني إلى المدرسة الفرنسية ،إلا أنني في الوقت نفسه ثابرت على التردد على مدرستي القديمة لتعلم القران ،وكنت اقصدها كل يوم صباح الباكر لأكون فيما بعد عند الثامنة صباحا في المدرسة الفرنسية وكنت أجد في ذلك صعوبة كبيرة أضف إلى هذا أن الفارق الذي كنت أحس به بين المدرستين والمعلمين كان يجعلني لا أطيق هذا الوضع »[1]

هذا الوضع جعل مالك يتغيب كثيرا عن المدرسة القرآنية وهذا التغيب يتعرض من خلاله مالك للعقاب ،دخل مالك إلى المدرسة الحكومية الفرنسية ،وتحصل على منحة للدراسة في الثانوية ،وكانت فرحته شديدة لأنه عاد إلى المنطقة (قسنطينة) التي زاد شغفه بها خصوصا انه أحبها وترعرع فيها ،ففي هذه المدينة شاهد معالم للحضارة كالشوارع الممتدة ، والمكتبات الكبرى ، و دور النشر والصحافة .

كان مالك محبا للمطالعة والتعرف على الثقافات الأخرى وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية ، سافر إلى فرنسا

سفره الى فرنسا

عندما حط مالك رحاله في باريس ،وفي محطة (ليون) وجد نفسه في وسط الحضارة الغربية ،لأنه اخذ حظا من الثقافة الإسلامية والغربية ، لم يقف من هذه الحضارة موقف المهزوم من داخله ، بل راح يتأمل هذه الحضارة «والفرنسي ما أن يخرج من مكتبه أو مصرفه حتى يصيرا في بيته نجارا وحدادا وكهربائيا ولا ريب أن الأطفال ينشئون في هذا الاتجاه ،وفي الجزائر لا يجد رجل الريف في بيته مطرقة ولا مسمارا ليصلح محراثه بينما يلتهي رجل المدينة بلعب الدومينو »[2]

تقدم مالك للمعهد ولم يكن اختبار القبول صعبا ، وثقافته كانت تؤهله للنجاح ،إن جذور تكون شخصية مالك بدأت في تبسة و قسنطينة بقراءاته الغزيرة وملاحظاته الدقيقة للتغيرات الاجتماعية للشعب الجزائري .

1-مالك بن نبي:مذكرات شاهد القرن،مصدر سابق،ص24.

2-المصدر نفسه،ص221.

لقد تعرف مالك على بعض الطلاب في الحي اللاتيني من بينهم محمد الفاسي من المغرب، وفريد زين الدين من سوريا .

كان مالك من مؤيدي وحدة المغرب العربي ومن مؤيدي الإصلاح الجزائري (جمعية العلماء)،كما التقى مالك بصديقه القديم حمودة بن ساعي وبصحبته اهتم مالك بالفلسفة وعلم الاجتماع والتاريخ كما أن مالك يعترف بأنه مدين لحمودة بن الساعي باتجاهه ككاتب متخصص في شؤون العالم الإسلامي .

تعرف مالك أيضا على امرأة فرنسية وتزوج بها بعد ان أعلنت إسلامها وسمت نفسها خديجة وكان لهذه الفرنسية اثر كبير في حياته حيث قال عنها :« أتصور إن الأفكار التي سخرتني كوسيلة تعرفت خديجة بواسطتها على الإسلام قد سخرها هي بتعرف بواسطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية»[1]

زيارته للجزائر

زار الجزائر عام 1932م ولاحظ تغيرا بدأ يدب في أوصال المجتمع الجزائري فالحمال الذي اهتم بحقائب السفر كان يتكلم العربية السليمة وعلى هيئة وسمته الكرامة، وعندما مروا بجانب (نادي الترقي) قال الحمال : أنا من مريدي الشيخ العقبي في هذا النادي، وهذا يعني شيئا واحدا إن موجة الإصلاح (جمعية العلماء) قد وصلت إلى العاصمة والى الجزائر كلها

في عام 1935م تخرج مهندسا كهربائيا وعمل عملا تطوعيا وهو تعليم الكبار في السن من العمال الجزائريين في مدينة مرسيليا بتعليمهم شيئا من اللغة وشؤون دينهم وكان هؤلاء العمال قد أسسوا ناديا باسم (نادي المؤتمر الإسلامي الجزائري) وفي 1939/9/22م ودع الجزائر بهذه العبارة «يا أرضا عقوقا تطعمين الأجنبي ، وتتركين أبناءك للجوع ،إنني لن أعود إليك إن لم تصبحي حرة »[2]

1--مالك بن نبي شاهد القرن ،مصدر سابق،ص98.

2-المصدر نفسه،ص428.

مالك بن نبي في القاهرة: 1956-1963

حل مالك ضيفا على مصر واستقر فيها، تعرف مالك في مصر على العالم العربي وتعرف العالم العربي عليه ،وكان لمالك منتدى يرتاده الكثير من الطلبة من داخل مصر وخراجها، وفي عام 1959م قام بزيارة لسوريا ولبنان، وشارك في عدد من المؤتمرات التي عقدت في السعودية والكويت وليبيا، وعين من قبل الحكومة المصرية مستشارا للمؤتمر الإسلامي الذي أطلق عليه فيما بعد (مجمع البحوث الإسلامية)،وفي هذه الفترة من حياته في القاهرة عمل على ترجمة كتبه إلى العربية ،وفي« مصر تزوج من سيدة جزائرية وأنجب منها ثلاث بنات هن : نعمة ، إيمان ، ورحمة ،والسيدة رحمة هي التي اتصلت بالأستاذ عمر مشقاوي ، وطلبت منه تحويل حقوق نشر كتب والدها إليها ،فوافق على ذلك وسلمها حقوق الإيداع »[1]

وفي هذه المدينة ساهم مالك إعلاميا في قضايا بلاده، فنشر رسالة إلى المجتمع الدولي بعنوان النجدة .... الشعب الجزائري يباد،كما أيقن مالك أن الثورة حتمية لابد منها خصوصا إنها تغير اجتماعي يحمل في ثناياه دلالات تربوية من اجل البناء الحضاري .

العودة إلى أرض الوطن :

في عام 1963م عاد مالك إلى وطنه الجزائر بعد فترة غياب طويلة، وقد تحررت من الاستعمار الفرنسي بعد احتلال دام أكثر من 130سنة، عين مالك بن نبي في حكومة الاستقلال مديرا عاما للتعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري،ولكن كان له تحفظات على طريقة الحكومة في المسارات الاجتماعية والاقتصادية، فاستقال من منصبه ليتفرغ للعمل الفكري . وفي عام 1972 أدى فريضة الحج، وفي طريق عودته مر بدمشق وحاضر فيها في رابطة الحقوقيين ،وفي مسجد الرابط وحملت المحاضرتان عنوان (دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين) وكأنما كانت هاتان المحاضرتان وصيته الأخيرة لجيل الشباب الذي يجب أن يتحمل الأمانة ويؤديها للعالم .

1--محمد العبدة:مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي ،(دار القلم، ط1،دمشق،2006)،ص42.

العوامل المؤثرة في التكوين الفكري لمالك بن نبي :

عانى مالك في طفولته فقرا شديدا،عاش بعد تخرجه حياة فيها تعب، كما عاش مأساة بلد يخطط له الاستعمار لشل فاعليته، ومع ذلك تلقى مالك تعاليم التربية السلمية من قبل والديه والعائلة التي كانت تلقنه تعاليم الدين الإسلامي، كما أن جدته، زوليخة كان لها دور مهم في تنشئة القيم الأخلاقية لدى مالك بن نبي فكانت بمثابة المدرسة الأولى لأنها كانت تحكي له حكايات عن الأعمال الصالحة ، فجدته لعبت دور مهم في صقل القيم الأخلاقية لدى مالك .

كانت جدته تحدثه عن أمها وكيف غادرت مدينتها يوم دخلها المستعمر ،وكيف اضطر أهلها إلى المغادرة إلى تونس أما المحيط الاجتماعي الذي عمل على تشكيل نفسية مالك جعله يحرص على التمسك بأصالته في آن واحد ويؤكد هذا بقوله: «ففي تبسه كنت أرى الأمور من زاوية الطبيعة ، أما في قسنطينة فقد أخذت أرى الأشياء من زاوية المجتمع والحضارة واضعا في هذه الكلمات محتوى عربيا وأوروبيا في آن واحد»[1]

« وما إن شب عوده في نهاية العشرينيات في القرن الماضي حتى بدا ينفتح عن العالم الخارجي بفضل حسه السياسي ،فكانت الأزمة العالمية التي اجتاحت العالم آنذاك قد شكلت تلك المرحلة تداعياتها وعيه المبتكر المختزن في صور التغيير الاجتماعي، يعي التمزق الاقتصادي والاجتماعي ،هذه الأمور كان مالك يتلمسها وهو يقارن بين شوارع وبيوت السكان الأوروبيين في قسنطينة ، وبين دور بعض أقربائه وأوضاعهم الرثة ،كان ذلك يبعث في نفسه الألم والأسى »[2]

لقد تأثر مالك بزوجته الفرنسية خديجة التي تربت على القيم الفرنسية فمن خلالها تعرف على الثقافة الغربية

1--مالك بن نبي:مذكرات شاهد القرن،مصدر سابق،ص ص36-37.

2-العابد ميهوب :الفكر التربوي عند مالك بن نبي ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في علم الاجتماع،2013،منشورة،ص66.

كما تأثر مالك بأستاذه الشيخ (مولود بن ميهوب) من خلال الدروس التي كان يعلمها له ،يقول مالك «وقد استطاعت الدروس ذاتها خاصة مع أساتذتنا العرب أن تنمي فينا هذه الروح وتغذيتها، وكنا نجد شيئا ما أكثر لدى الشيخ (مولود بن ميهوب) الأستاذ في المدرسة ومفتي المدينة»[1]

ومن بين الأساتذة الفرنسيين الذين ساهموا في تنمية فكر مالك الأستاذ الفرنسي pobréiter يقول مالك :«ومن جهتي أنا فقد كان الأستاذ (بوبريتي) قد فتح لي أفاقا جديدة ولم يكن ذلك بفضل دروسه المقررة علينا كتاريخ الأزمة القديمة، والأدب الفرنسي . وان تكن هذه قد تركت أثرا لا ينكر، إنما بفضل توجيهاته فيما نقرا من كتب »[2]

ومن الأفاق التي فتحها المعلم بوبريتي لمالك هو اكتشاف مالك للشاعر الهندي " طاغور " يقول مالك: «هذا الشاعر حررني من إفريقيتي بعض الشيء وأطلق ذهني من قيود فرضها الاستعمار »[3]

كما تأثر مالك بحمودة بن الساعي الذي التقاه في فرنسا، وكان له دور فعال في صقل فكر مالك بن نبي فحمودة كان يمتلك معرفة فكرية وثقافية واسعة وهو الوحيد الذي كان مالك يتعامل معه بصفة كبيرة يقول مالك في ذلك «ولكنه مع ذلك كان الوحيد من جيلي الجزائري ،الذي استطيع العمل الفكري معه لان شيطان المعرفة قد استولى عليه منذ صباه، حتى أنني اعتقدت تلك الليلة، أننا سوف نقوم بعمل يبقي أثره في المجتمع الجزائري » ويقول أيضا «أدين (لحمودة بن الساعي)باتجاهي كاتبا متخصصا في شؤون العالم الإسلامي، حتى لو إنني لم أنجز معه أي عمل بعيد المدى، يجب إن أقول إنني أنجزت معه كل الأعمال اليومية الخاصة بالطلبة المغاربة بالحي اللاتيني »[4]

1-مالك بن نبي :مذكرات شاهد القرن، المصدر السابق ، ص 64.

2 -المصدر نفسه،ص65.

3-المصدر نفسه،ص91.

4-المصدر نفسه،135.

ألف مالك عدة كتب وأغلبها بالفرنسية، وبعضها الأخر باللغة العربية، واغلب الكتب التي كتبها باللغة الفرنسية،ترجمت إلى اللغة العربية، كما أتيح لمالك في باريس أن يتعرف على مشكلات أمته وهناك القي محاضرة (1991م) بعنوان «لماذا نحن مسلمون » [1] ،وجاء الرد عليها سريعا من قبل السلطات الفرنسية وتم استجوابه ، ومن النشاطات التي شارك فيها تأسيس جمعية الوحدة المغربية واشرف أيضا في مرسيليا على نادي المؤتمر الجزائري الإسلامي،وفي باريس تعرف على الحضارة الغربية من خلال عدة أبواب، منها باب زوجته وأسرتها، باب وحدة الشباب المسيحيين الفرنسيين ،وباب التعرف على علومهم من خال التعرف على ثقافتهم ان رحلة مالك بن نبي تتخللها العديد من الثمار وهذا ما جاء به من خلال مؤلفاته، كما جعل المفكرين يمدحون بفكره وهذا ما تجسد في قول احد الأساتذة الكبار، قول الأستاذ الدكتور عبد العزيز الخالدي في مقدمة شروط النهضة لمالك بن نبي «ابن نبي في الواقع ليس كاتبا محترفا أو عاملا في مكتب مكيبا على أشياء خامدة من الورق والكلمات، ولكنه رجل شعر في حياته الخاصة، بمعنى الإنسان في صورته الخلقية والاجتماعية، وتكوين المؤلف كمهندس قد ساعده دون شك في التصوير الفني للأشياء، ولكن ثقافته المزدوجة تسمح له بان يوصل هذا التصور بالخطة الإنسانية »[2]

وبذلك يمكن أن نقول بان مالك كان بمثابة فارس للفكر وفقيه للحضارة ،لقد فارقنا مالك ملتحقا بربه في يوم 4 شوال 1393 الموافق ل 31 أكتوبر 1973م تاركا وراءه فكرا قيما .

مؤلفات مالك بن نبي :

لقد كان لمالك بن نبي مجموعة من المؤلفات التي قدم من خلالها رؤى جديدة للتربية والتنمية والثقافة والحضارة صدرت اغلب كتبه باللغة الفرنسية ثم ترجمت هذه المؤلفات إلى اللغة العربية واهم كتب مالك هي كالآتي :

1-مالك بن نبي :مذكرات شاهد القرن،مصدر سابق،ص183.

2--أنظر مقدمة كتاب شروط النهضة :لمالك بن نبي،(دار الفكر،تر:عبد الصابور شاهين) ،ص07.

- الظاهرة القرآنية : (الجزائر 1946) كتبه باللغة الفرنسية ، وقام بترجمته الدكتور عبد الصبور شاهين ونشرته دار القرآن الكريم تحت رعاية الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية السالمية ،الكويت عام 1398 هـ . 1978 م،وعدد صفحاته 363 صفحة .
- لبيك (الجزائر 1947) : وهي قصة أدبية ألفها مالك في بداية حياته الفكرية وترجمت إلى العربية سنة 2009 من قبل د. زيدان خوليف، دار الفكر، سوريا 156 صفحة من الحجم المتوسط .
- شروط النهضة (الجزائر 1948) : نشر بدار الفكر، عام 1960، وقام بترجمة كامل مسقاوي .
- الإفريقية الأسيوية (القاهرة 1956) : صدر عن دار الفكر، يتضمن 266 صفحة

مشكلة الثقافة (القاهرة1959) : ترجمة عبد الصابور شاهين عام 1984م،يتضمن 152صفحة.

- فكرة كمنويلث إسلامي (دمشق 1960) : نشرته مكتبة عمار ودار الفكر عام 1990 عدد صفحاته 94 صفحة.
- الصراع الفكري في البلاد المستعمرة (دمشق 1960) : نشر بدار الفكر،عدد صفحاته 127صفحة وهو أول كتاب لمالك بن نبي بالعربية .
- الصعوبات كعلامة لنمو في المجتمع العربي (القاهرة 1960) : هذا الكتاب يتضمن محاضرة ألقاها في الاتحاد القومي في دمشق وهي مترجمة من الفرنسية إلى العربية
- في مهب المعركة : وهو مجموعة مقالات كتبها في باريس في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات .
- ميلاد مجتمع (القاهرة 1962) : قام بترجمته الدكتور عبد الصابور شاهين نشر بدار الفكر وهو من القطع المتوسط ، عدد صفحاته 107 صفحة .
- آفاق جزائرية (الجزائر 1964) : نشرته مكتبة عمار ، القاهرة .
- مذكرات شاهد القرن القسم الأول (الطفل) (الجزائر 1966) : تحدث فيه مالك بن نبي عن المرحلة الأولى من حياته (1905-1930) .

- إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث : نشرته مكتبة عمار القاهرة عام 1970 عدد صفحاته 62 صفحة .
- مذكرات شاهد القرن : يتكون من جزأين : الجزء الأول بعنوان " الطفل " وقد ترجمه مروان القنواتي، نشرته دار الفكر بيروت الجزء الأول عام 19669 والجزء الثاني بعنوان " الطالب " وقد ترجمه مالك بنفسه، ونشرته دار الفكر بيروت الجزء الأول عام 1969 والجزء الثاني بعنوان الطالب طبع عام 1970 .
- مذكرات شاهد القرن القسم الثاني (الطالب) (بيروت 1970) : صدر هذا الكتاب باللغة العربية وقد تحدث فيه عن مرحلة أخرى من حياته في فرنسا
- مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي (القاهرة 1971) قام بترجمته محمد عبد العظيم علي نشرته دار الدعوة،عام 1970 عدد صفحات 71 صفحة.
- المسلم في عالم الاقتصاد (بيروت 1972) دار الفكر عدد الصفحات 111صفحة.
- بين الرشاد والتيه (طرابلس . لبنان 1977) : نشر بدار الفكر عام 1978 عدد الصفحات 174 صفحة.
- وجهة العالم الإسلامي (دمشق 1954) قام بترجمته عبد الصابور شاهين نشرته دار الفكر ،عدد صفحاته 173 صفحة.
- وجهة العالم الإسلامي، الجزء الثاني، الوجهة اليهودية : ترجمه عمر كامل مستقاوي ، دار الفكر ،سوريا، سنة 2013 عدد صفحاته 160 صفحة.
- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (بيروت 1977)نشر دار الفكر في كتاب واحد عدد صفحاته 62صفحة.
- القضايا الكبرى : كتاب صدر بالفرنسية في الجزائر سنة 1976 يشمل على المؤلفات التالية :

أ: آفاق جزائرية .

ب: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث .

- تأملات (دمشق 1961) : نشرته دار الفكر ، عدد الصفحات 205 .
- العفن .

المبحث الثاني : في مفهوم التربية

التربية هي ضرورة فردية، اجتماعية على حد سواء ، انه ليس بإمكان أي فرد أو المجتمع الاستغناء عنها، وكلما سلك دربا من دروب الحياة كلما أحس بضرورة الحاجة إليها .

إن الفكر التربوي هو أداة الحضارة ووسيلة لتخليد ذاتها، وضمان إنسانيتها وتناقلها بين الأجيال إن هذا بطبيعة الحال لا يلغي فضل التربية في الحضارة ولكنه يوسع دورهذا الفعل ويحدد معناه .

التربية لغة واصطلاحا :

✓ لغة : يعيد علماء اللغة كلمة التربية إلى أصول لغوية ثلاث وهي :

« ربا – يرب : بمعنى أصلحه وتولى أمره وساسه وقام عليه ورعاه

ربا – يربو : بمعنى نما ينمو

ربا – يربي : بوزن خفي،يخفي،المعنى نشأ وترعرع »[1]

✓ **اصطلاحا :**

مفهوم التربية حسب لالاند بمعناها العام والخاص

«**المعنى العام** : يشير إلى أنها تقوم على تطوير وظيفة أو عدة وظائف تطوير تدريجيا عن طريق التجربة، والتدريب ، وتفهم من عمل الفرد ذاته، فهي بهذا عملية متجددة

المعنى الخاص : تتمثل في عمليات إجرائية يتم بها تدريب الأفراد عن طريق إبراز ميولهم وتشجيعهم على حمل عادات مجتمعه، كما تعني تهذيب الحواس لدى الفرد في تقبل الادراكات الحسية الجديدة لتنظيم مع باقي الظواهر النفسية لكل فرد »[2]

1--ابن منظور لسان العرب:مج3 ،مادة ربا،تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون،(دار المعارف،القاهرة،د س)،ص1572.

2--أندري لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية،مج1 ،تر: خليل أحمد،(منشورات عويدات،ط2،2001)،ص ص22-23.

جاء المعجم الفلسفي لجميل صليبيا إن «التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله » [1] أو هي كما يقول المحثون تنمية الوظائف النفسية حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا والتربية تعني أيضا «جملة المعلومات والمهارات التي أنجزت في الماضي والتي تنقلها المدرسة من جيل إلى جيل ، وغاية هذا العلم تنمية الوظائف النفسية »[2]

مفهوم التربية عند الغزالي :

التربية عند الغزالي عملية رعاية، وبناء لشخصية الطفل بحيث يصبح فردا صالحا في مجتمع صالح متوازن متطور قائم على أسس ثابتة تراعي طبيعة الإنسان القائمة على ضرورة التوازن بين متطلبات الجسد والروح، إلى جانب الدنيا والآخرة ، ويحدد الغزالي مفهوم التربية بإيجاز يقول: «ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك، ويخرج النباتات الأجنبية ما بين الزرع ليحسن نباته ويكمل رعيه»[3]

ويقول الإمام الغزالي أيضا «الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما ينقش ومائل لكل يمال إليه ، فان عود الخير وعلمه نشأ عليه،وسعد الدنيا وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب »[4]

1--جميل صليبا:المعجم الفلسفي،(ج2،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982)،ص266.

2-مراد وهبة:المعجم الفلسفي،(دار قباء الحديثة،القاهرة،2007)،ص ص179-180.

3 -أبو حامد الغزالي:أيها الولد،تحقيق علي محي الدين،(دار البشائر،ط2،بيروتح)،ص128.

4 - أبو حامد الغزالي :احياء علوم الدين،ج3 ،(دارالصابوني،ط1،د س،البشائر،ط2،بيروت)،ص128.

التربية عملية اجتماعية، فهي ترتبط بجميع المؤشرات التي يراد منها أن تصوغ كيان الإنسان ،وتربي سلوكه في كل نواحي الحياة جسدية كانت أم عاطفية أم اجتماعية ،أم أخلاقية ، فالتربية تشمل كل العوامل والأساليب والطرق التي تدخل في نطاق الفعاليات التهذيبية ،فالتربية عند الغزالي وسيلة لإعادة الاعتدال في حال انحراف الإنسان عن فطرته وهذا ما جاء به الإسلام حيث أن الله أرسل الرسل لهداية الناس ويقول عز وجل ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِمَكُمْ الكِتَابَ والحِكْمَةَ ويُعَلِمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونْ ﴾[1]

مفهوم التربية عند جون ديوي

تناولننا فيما سبق أن التربية في أصل معناها اللغوي ففي الانجليزية تعني éducation مأخوذة من اللاتينية بمعنى القيادة ، أما في اللغة العربية فالتربية من ربي أي غذى الولد وجعله ينمو ،ورب الولد هذبه فأملها ربا يربوا أي زاد ونما .

كما أن الاختلافات في إعطاء تعاريف مختلفة للتربية من طرف الناس تعتمد على الحفظ والتلقين اذ عرج *جون ديوي إلى معارضتها والقيام بتربية حديثة تقوم على فلسفة جديدة وقد نجح جون ديوي في نشر فلسفته التربوية سنة 1897م وتتلخص نظرية التربية كما صورها في عقيدته في الأمور الآتية .

-إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري وبمقتضاها ليصبح الفرد وريثا لما حصلته الإنسانية من حضارة

1 -القرآن الكريم:سورة البقرة،الآية101.

– التربية المقصودة تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالبة المجتمع من جهة أخرى بالمساهمة في ذلك , فيصبح من خلال ذلك إن «التربية ثمرة علمين هامين هما علم النفس وعلم الاجتماع »[1]

والبيئة الاجتماعية هي المجال الحيوي الذي بدونه لا تتحقق التربية على وجهها الصحيح «فالبيئة كالماء بالنسبة للأسماك والبيئة هي مجموع الظروف التي تعيش فيها الفرد، والتي تؤثر فيه وتبعث فيه ألوان النشاط والاستجابات ويتم التفاعل معها، والبيئة هي التي تكون الاتجاهات العقلية و الوجدانية في سلوك الأفراد .... ويتعلم الطفل من وجوده في البيئة الاجتماعية أمورا ثلاث هي اللغة وأساليب الكلام آداب السلوك موازين الأخلاق ،والذوق السليم ومعايير الجمال »[2]

يعتقد ديوي أن التربية تتسم بالطابع الاجتماعي ، وتبدأ بالمشاركة الفعالة للفرد في التكيف الاجتماعي مما يجعل منها عملية حياة وتجديد .مفهوم التربية عند جون ديوي يتمحور حول الخبرة والتي تنتقل بالتربية من جيل إلى جيل بصورة مستمرة ونامية وبطريقة ديمقراطية وعلمية وفي هذا القول «أن التربية هي ذلك التكوين أو التنظيم الجديد للخبرة »[3]فهي عملية نمو الحياة ، وتجديد للخبرة تتم في جو ديمقراطي يتضمن تفاعلا اجتماعيا ، ويساعد على النمو المستمر أنها السبيل إلى التقدم الاجتماعي وأساس الإصلاح الذي يرجوه أو كما قال « إنني اعتقد أخيرا – إن التربية ينبغي أن يكون مفهومها في أذهان الناس هو أنها عملية إعادة بناء الخبرات من جديد،وبصفة دائمة مستمرة، ولن هدفها الذي تنشد لتحقيقه،إنما هما في الحقيقة شيء واحد »[4]

*جون ديوي من بين أبرز مؤسسي الفلسفة البراغماتية ولد في مدينة بورلنجتن ،كانت دراسته الابتدائية في مدينته و تحصل على شهادة الدكتوراه في جامعة yohnhopkins universtiy عام 1848 انضم الى جامعة michigan universitiy محاضرا في الفلسفة وفي عام 1894 تولى رئاسة قسم الفلسفة بجامعة شيكاغوا ومن بين اهم مؤلفاته :المدرسة والمجتمع ،الطفل و المنهج ،الديمقراطية والتربية ،الخبرة والتربية (أنظر : احمد فؤاد اهواني نوابغ الفكر العربي جون ديوي ،(ط2، دار المعارف، القاهرة ،1919)، ص15.

1-المرجع نفسه،ص41.

2--المرجع نفسه،ص44.

3--جون ديوي: الديمقراطية والتربية ،تر:منى عفراوي وزكرياء ميخائيل،(مطبعة لجنة التأليف،القاهرة،1946)،ص70.

4- جون ديوي:مدارس المستقبل،تر:عبد الفتاح المنياوي،(مكتبة النهضة ،القاهرة،1962)،ص39.

أهمية التربية :

إن التربية تتصف بالنمو الفردي والاجتماعي والإنساني ، وهي عملية هادفة وليست عشوائية ففي طريق التربية يرتقي الفرد ويتقدم المجتمع وتعلوا الإنسانية فمن صفات التربية الاستمرارية لان العملية التربوية هي عملية مستمرة كما أن التربية تتصل بماضي المجتمع وحاضره و مستقبله وبنوعية الأفراد الذين يتحملون مسؤوليات توجيه المجتمع والعيش فيه ،أنها عملية منظمة و تهدف إلى غاية معينة ترمي إلى تحقيق هذه الغاية باستعمال وسائل معينة وطرق خاصة ،فلكل مربي فلسفته التربوية وأهداف تربوية فيعمل على إيجاد وسائل مناسبة لتحقيق هذه الأهداف بما يتفق وفلسفته فالتربية نظام له علاقة بالمعلم والمتعلم والبيئة والمجتمع .

التربية ضرورة فردية :

إذا كان هدف التربية هو تحقيق النمو والحياة لدى الكائن الحي، فإن هذا الكائن البشري يطول بقاؤه في الأسرة لطول الفترة عجزه سببا ويكون طيلة هذه الفترة معتمدا على الأسرة في إشباع حاجاته «إن السبب الذي من اجله تحتاج إلى التربية هو أن الأطفال لا يولدون بشرا،بل يصيرون بشرا بفضل التربية »[1]

ومن هنا يظهر أن التربية ملازمة للإنسان فهي تمكنه من التغلب على المشكلات التي قد تواجهه في حياته فالفرد يحتاج إلى التربية ليكون عضو فعال في مجتمعه وبالتالي يجب أن تتكيف لتخدم النظام الاجتماعي فالتربية تساهم في إعداد المواطن الصالح المنتمي لوطنه وأمته ،كما أنها تقوم بالمحافظة على الجانب الأخلاقي الذي يقره المجتمع من فضائل ، كما تجعل الفرد سليم الشخصية خالي من العيوب،كما أن الأسرة لها دور فعال في تربية الفرد لأنها تعد المدرسة التي ترعرع فيها كما تمكنه من تنمية حاجاته البيولوجية والسيكولوجية مما يجعل تأثير الأسرة فيه عميقا.

1-أيوب دخل الله: التربية الاسلامية عند الامام الغزالي،(المكتبة العصرية،ط1،بيروت،1996)،ص141.

التربية ضرورة اجتماعية :

التربية لا يمكن أن تتم في فراغ وبالتالي فهي تعيش في مجتمع ذلك لأنها أداة المجتمع في تشكيل الأفراد، الذين لا يمكن لهم أن ينموا في عزلة ولا يرجع هذا إلى إن الأفراد الإنسانيين يشكلون بيئة مناسبة تقدم الحماية فحسب ولكن هؤلاء الأفراد يلعبون أيضا دورا أكثر أهمية وهو أن وجودهم ضروري للعلاقات التي يكونها الفرد معهم، فالتربية تعمل في ضوء نظام اجتماعي معين، ومعنى هذا أن محور الدراسة في التربية هو المجتمع ضمنه تشتق أهدافها إذن المجتمع هو الوعاء الذي يحتوي التربية في داخله ولذا فإن «التربية محاولة يقوم بها الأفراد المختصون في المجتمع للتأثير على النمو الصغار وذلك باختيار الخبرات التي تنمو بها القيم المطلوبة للفرد وتنظيم هذه الخبرات بنشأة شخصية قومية ذات أهداف وملامح محدودة »[1]

ومن هنا يتضح المفهوم الاجتماعي للتربية وهذا يعني «المحافظة على المجتمع وحضارته عن طريق عملية نقل الخبرات إلى الطفل »[2]من خلال اللغة والعادات والتقاليد والدين والقيم الأخلاقية. .

1--عبد الغني عبود: في التربية الاسلامية،(دار الفكر العربي،القاهرة،1991)،ص160.

2-عاقل فاخر:معالم التربية،(دار العلم للملايين،ط2،1980)،ص29.

المبحث الثالث : معالم الفكر التربوي عند مالك بن نبي

مفهوم التربية عند مالك بن نبي :

لم يتطرق مالك بن نبي لمفهوم التربية بشكل واضح لذا فمن الصعوبة تحديد هذا المفهوم،ويرجع ذلك إلى انه لم يتحدث عن موضوع التربية في مؤلفاته بشكل صريح خصوصا أن ثمة تداخل بين معنى التربية ومعنى الثقافة وهذا يظهر جليا في قوله «إن من أولويات واجبنا أن تعود الثقافة عندنا إلى مستواها الحقيقي ولذلك يجب أن نحددها عاملا تاريخيا نفهمها ،ثم نظاما تربويا تطبيقيا لنشرها بين طبقات المجتمع »[1]

ومن هنا يظهر لنا مفهوم التربية والتي تعني إنها عملية تثقيف ومتواصلة ، وتتمثل عملية التثقيف في العملية النفسية التي تقوم في أولى مهامها بترتيب عناصر ثقافة المجتمع في شخصية الفرد فالثقافة هي الجسر الذي يعبره المجتمع إلى الرقي والتمدن فإنها أيضا ذلك الحاجز الذي يحفظ بعض أفراده من السقوط من فوق الجسر إلى الهاوية .

الثقافة حسب مالك بن نبي ليست علما خاصا بطبقة من الشعب دون أخرى، بل هي دستور تتطلبه الحياة العامة، بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي،كما أن وظيفة الثقافة عند مالك أشبه بوظيفة الدم في الجسم «فالثقافة هي ذلك الدم في جسم المجتمع يغذى حضارته، ويحمل أفكار (النخبة) كما يحمل أفكار (العامة) وفي هذا المركب الاجتماعي للثقافة ينحصر برنامجها التربوي وهو يتألف من عناصر أربعة، يتخذ منها الشعب دستورا لحياته المثقفة :

1- عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية، 2- عنصر الجمال لتكوين الذوق العام، 3- منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام ،4- الفن التطبيقي الملائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة»[2] ،ومن هنا يتضح أن الثقافة عند مالك هي أولا « محيط معين يتحرك في حدوده الإنسان ، فيغذي إلهامه ويكيف مدى صلاحيته للتأثير عن طريق التبادل والثقافة جو من الألوان والأنغام والعادات

1--مالك بن نبي: مشكلة الثقافة،تر: عبد الصابور شاهين،(دار الفكر،ط1،دمشق،2000)،ص75.

2-مالك بن نبي:شروط النهضة ،مصدر سابق،ص ص86-87.

والتقاليد ، الأشكال والأوزان والحركات التي تطبع على حياة الإنسان اتجاها وأسلوبا خاصا يقوي تصوره،ويلهم عبقريته،ويغذي طاقته الخلاقة، أنها الرابط العضوي بين الإنسان والإطار يحوطه »[1]

التعليم المستمر وأهميته التربوية :

يعتبر مفهوم التربية المستمرة من ابرز المفاهيم التي دخلت حديثا إلى ميدان التربية والتي تعتبر شكلا خاصا من أشكال التربية ونشاطا تربويا متميزا وإنما تعتبر صيغة أساسية كفيلة بان تقدم مبدأ للتوجيه و التجديد التربوي ان الفرد لا يستطيع أن يواصل التعلم طوال حياته إلا إذا كان حريصا على تحقيق نموه الواعي والكامل .

يؤكد مالك بن نبي على «أن التعليم المستمر، لن يكون سياسة متبعة إلا إذا إقترن بالثواب والعقاب ،ومعنى ذلك أن يكون هناك ثمرات مادية للاستمرار في التعليم بما يؤدي إلى تحسين مستوى الفرد ويكون على دراية بالمستجدات التي تضاف الى اختصاصه وبما يجري حوله من إحداث وأبحاث ويكون مستعدا لخوض غمار العمل وقادرا على العطاء »[2]

التربية والتغيير الاجتماعي :

التربية وسيلة أساسية للقضاء على المشكلات الاجتماعية التي تنشأ عن انتشار هذه العناصر الثقافية الجديدة، وصراعها مع العناصر الثقافية السائدة فإن علاقة التربية بالتغير الاجتماعي علاقة متبادلة لا نستطيع إغفالها يرى مالك بن نبي أن التربية الاجتماعية قواعدها العامة من علم التاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس، وان تاريخ أي مجتمع هو شبكة العلاقات لدى الفرد،فهو يؤكد على انه بناء نظام تربوي واجتماعي ينبغي أن تكون لدينا أفكارا جد واضحة عن العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية على مستوى الفرد والمجتمع «فالتربية الاجتماعية السليمة لا تستورد مفاهيمها وحلولها من مجتمعات أخرى، لأن المجال الاجتماعي ليس كمجال الميكانيك، فمشكلات الإنسان ليست هي مشكلات المادة و بالتالي فإن الأفكار والمفاهيم جزء من محيطها وقد تفقد قيمتها عند

1- أحمد بناسي: مدخل الى فكر مالك بن نبي،(دار بن مرابط،ط1،الجزائر،2014)،ص76.

2 – مالك بن نبي:دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين،(دار الفكر،د – ط،دمشق،1978)،ص42.

انفصالها عن طرفها الاجتماعي »[1]، يرى مالك أن التربية الاجتماعية لابد أن تنطلق من ضرورة تنظيم شبكة العلاقات الاجتماعية بما يتيح الانخراط في النشاط المشترك كأساس يكسب المجتمع البشري صورته كمجتمع فهو الذي يمنح التربية صفتها الاجتماعية ، ودائما ضمن هذا السياق يعتقد مالك بن نبي إن الثقافة لا تكتسب أهميتها ما لم تخلع على التربية الاجتماعية المضمون الضروري الذي يتيح لها الاطلاع على وظيفتها المغيرة «لأن الهدف هو تعليم الفرد الإنساني كيف يتحضر في المجتمع الإنساني»[2]

التربية كتنشئة اجتماعية :

«يقصد بالتنشئة الاجتماعية عملية صقل الأفراد وتكوين مواطن صالح وهذه إحدى مهام العلوم الإنسانية والاجتماعية، إذ أن المجتمعات اليوم تعاني من انسلاخ بعض الأفراد وانحرافهم عن عادات المجتمع بشكل سلبي... فالتنشئة الاجتماعية، هي عملية يتنقل من خلالها الكائن البشري من مجرد كائن بيولوجي حيوي إلى كائن اجتماعي، يتفاعل ويتكيف ايجابيا مع الآخرين ويمتص الفرد من خلال هذه العملية مبادئ ومعارف ولغة وثقافة مجتمعه ،ويكتسب الإنسان بذلك إنسانيته »[3]

ومن هنا يتضح إن التنشئة الاجتماعية تهدف إلى تكوين الأفراد ليصبحوا مواطنين صالحين في المجتمع، أما التنشئة الاجتماعية عند مالك بن نبي فإن مفهومها بأخذ طابعا مرحليا إذا يحول الإنسان من طابع الكائن البيولوجي إلى شخص اجتماعي كما تساهم في إكساب الفرد ادوار اجتماعية تتماشى مع استعداداته الفطرية ومهاراته المكتسبة ،كما أن العامل الديني له دور فعال في جعل نفسية الفرد سليمة .

«وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد،وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعية تصرف (أنا) الفرد، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعا

2-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ،تر: عبد الصابور شاهين،(دار الفكر،ط3،القاهرة،1986)،ص46.

1- مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص93.

2- زروخي الدراجي: اشكاليات أساسية في مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية،(دارصبحي،ط1،الجزائر،2009)،ص218.

لمقتضيات النشاط الخاص هذا (الأنا) داخل المجتمع وتبعا للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ»[1]

يرى مالك أن التربية عملية اجتماعية بحته تبدأ منذ ولادة الإنسان حتى مماته فهي عملية مستمرة تلقن الفرد وتعلمه أبجديات الحياة كما أنها تهدف إلى تحقيق سيطرة المجتمع من خلال فرض نظام القيم والأعراف

«كما أن دوركايم أكد على أهمية الجوانب الاجتماعية للعملية التربوية فالتربية هي الوسيلة التي يجدد المجتمع عن طريقها واستمرار شروط حياته الخاصة وتكمن وظيفتها الأساسية في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية المنهجية للأجيال الجديدة »[2]

1--مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص68.

2- العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي،مرجع سابق،ص206.

أهداف التربية عند مالك بن نبي :

تعتبر التربية ضرورة اجتماعية هدفها إعداد الفرد ليصبح عضوا في مجتمعه وبالتالي يجب أن تتكيف لتخدم النظام الاجتماعي ومن خلال المنظومة التربوية لدى مالك استخلصنا مجموعة من الاهداف التي تحققها التربية على مستوى الفرد و المجتمع .

التربية كعملية تكيف وإدماج اجتماعي :

ومن أهداف التربية التكيف مع المجتمع وتلبية حاجاته «والتكيف هو ملائمة الفرد لمتطلبات البيئة وظروفها »[1]فالتكيف عامل مهم في نمو الصحة النفسية والاجتماعية عند الأفراد الراغبين في تكوين الصداقات، وتنمية الذات الاجتماعية والرضوخ لقوانين المجتمع وفي هذا يقول مالك بن نبي «فذلك هو التكيف الذي يجعل الفرد أهلا لأن يتخذ مكانه، ولأن يقوم بدوره في المجتمع أي أننا ينبغي إجمالا أن نحدد العلاقة التي يحتمل أن تكون بين مجموعة من الأفعال المنعكسة المنظمة لسلوك الفرد وبين شبكة العلاقات التي تتيح لمجتمع ما أن يؤدي نشاطه المشترك »[2]

وبذلك فإن التربية لدى مالك تهدف إلى أعداد المواطن الصالح وتكوين شخصيته من خلال تحقيق طابع التكييف لدى الفرد .

التربية كعملية تطبيع اجتماعي :

تسعى التربية إلى تطبيع الأفراد من خلال تحديد اتجاهاتهم بما يخدم المجتمع ويتم هذا التطبيع انطلاقا من الأسرة التي تقوم بتحديد سلوك الفرد وتشكيله، وعملية التطبيع هي عملية تتعلم اجتماعي

– تكوين الاتجاهات النفسية والاجتماعية للإنسان من خلال هذه العملية،فمن خلال تفاعل الفرد مع الأفراد مجتمعه وثقافته يكتسب الفرد سمات شخصية .

– تكوين القيم الخلقية والوجدانية في تكوين أفراد المجتمع في إطار المعايير والضوابط الاجتماعية التي تحددها ثقافة المجتمع وفي هذا الصدد يقول مالك : «فالتربية وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف

1--شوقي ضيف:معجم علوم النفس والتربية(ج1،الهيئة العامة،1984)،ص05.

2--مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص66.

يعيش مع اقرانه، وكيف يكون معهم مجموعة القوى .... وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع ان يؤدي نشاطه في التاريخ » [1]

التربية كعملية للتحضر :

ان مالك بن نبي يرى بان التربية ترتبط بالتحضر فالتربية وسيلة فعالة غرضها تحقيق التحضر ومعنى التحضر لدى مالك هو «أن يتعلم (الإنسان) كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية،في تنظيم الحياة الإنسانية من اجل وظيفتها التاريخية »[2]

فالهدف من التربية هو تعليم الفرد كيف يتحضر وتسعى إلى تغييره من اجل بناء شبكة من العلاقات الاجتماعية وهذا ما تتجسد في قول مالك يقول «ليس الهدف من التربية أن تعلم الناس أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة ولكن الهدف أن تعلم كل فرد فن الحياة مع زملائه ، اعني أن نعلمه كيف يتحضر»[3]

وهذا ما يسعى إليه مالك بأن يساهم الفرد في بناء المجتمع الحضاري «ففي مجتمع الحضارة يتوفر مناخ الحرية والحماية للفرد، وتتقدم الحضارة لأبنائها كل ما يحفظ وجودهم ويقيهم من الانحدار في مختلف المجالات الفكري والاقتصادي، فالحضارة توفير لاحتياجاته والحفاظ على الشخصية الوطنية والدينية »[4]

1- مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص100.

2-المصدر نفسه،ص94.

3-المصدر نفسه،ص99.

4- السحمراني أسعد: مالك بن نبي مفكرا اصلاحيا،(دار النقاش،ط2،بيروت،1986)،ص ص141-142.

.

التربية كعملية غرس للقيم الإسلامية :

خلق الله سبحانه وتعالى الناس مفطورين على الاعتراف بالربوبية ،ففطرتهم تنشأ عليه قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فَطْرَتُ الله التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله﴾ [1] وفي هذا تكريم، وتشريف للإنسان فالله جعل منه خليفته في الأرض قال تعالى ﴿وإِذَا قَالَ رَبُّكَ لِلمَلآئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةُ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدْ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونْ ﴾[2]

يرى مالك بن نبي بأن التربية تلعب دور مهم في غرس القيم الإسلامية في ذهنية الفرد حتى يساهم في بناء المجتمع كما أن «روح الدين الإسلامي هي أساس الحضارة الإسلامية ويقدر ما ينتعش دور الروح في النفوس كان انعكاس ذلك في ارتقاء الحضارة وينتعش دور العقل الذي لا يعد قادرا كقدرة الروح على كبت الغرائز وتنظيمها »[3]

فالدين يعد أساس لكل التغيرات الإنسانية وهذا ما تحث عنه مالك من خلال تطرقه للفكرة الدينية التي اعتبرها أساس لكل حضارة وهذا تجسد في قوله «أن الفكرة الدينية تحدث تغيرها حتى في سمات الفرد ومظاهره، الاجتماعية أثره في تجميل ملامح الفرد، أي أن مجموعة من الانعكاسات تؤدي إلى خلق صورة جديدة كأنها تتمثل في وجه جديد »[4]

فك الصلة مع الغرب :

دعا مالك بن نبي إلى معرفة الغرب واتخاذ موقف علمي منه وتطوير خبرات واليات للتعامل مع الحضارة الغربية بما يحقق لنا التمييز الحضاري الذي نريده وفي الوقت نفسه نبني مع الغرب علاقة حضارة قائمة على الاستفادة والإفادة وفق معايير حضارية إسلامية لان الغرب له صلة بالمشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي وفي هذا يقول مالك «ولا شك أن هذا الإشعاع العالمي الشامل الذي تتمتع به ثقافة

1- القرآن الكريم :سورة الروم،الآية30.

2- القرآن الكريم:سورة البقرة،الآية30.

3- ملك بن نبي: شروط النهضة،مصدر سابق،ص96.

4--مالك بن نبي :ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص80.

الغرب هو الذي يجعل من فوضاه الحالية مشكلة عالمية ينبغي أن نحللها وان نتفهمها في صلاتها بالمشكلة الإنسانية عامة وبالتالي بالمشكلة الإسلامية »[1]

ويركز مالك على الإنسان لأنه مصدر بناء الحضارة وهو محور كل العمليات التنموية لذلك «يجب بناء الإنسان ومن ثم جيل جديد فكريا وإيديولوجيا يعول فيه على نفسه متجاوز مرحلة الاعتماد على غيره والاتكال على الآخرين والنقل الآلي لمفاهيمهم وإيديولوجياتهم » [2]

1 -مالك بن نبي:وجهة العالم الاسلامي،تر:عبد الصبور شاهين ،(دار الفكر،ط1،دمشق،1986)،ص ص141-142 .

2- حميدي لخضر:مشكلة التغيير عند مالك بن نبي،مذكرة لنيل درجة الماجستير في الفلسفة،2005،منشورة،ص127.

أبعاد التربية عند مالك :

البعد العملي للتربية : يقصد به العقل التطبيقي الذي يجسد الفاعلية في النشاط سواء على صعيد الفكر أو العمل، فالمجتمع الاسلامي الأول كان يعيش طبقا لمبادئ القرآن،أما اليوم فهو يتكلم تبعا لمبادئ القرآن وذلك لعدم وجود المنطق العملي « فالمنطق العملي نعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله .... ونحن أحوج ما تكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا ، لان العقل المجرد متوفر في بلادنا ، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة ، و الانتباه فشيء يكاد يكون معدوما »[1]

«والفاعلية هي روح المنطق العملي لأنها هي التي تحدد وتشكل موقف الفرد واتجاه مشكلاته في الحياة وصعوبتها، إن هذه الفاعلية التي هي روح المنطق العملي من شأنها أن تنتج لنا العقل التطبيقي الذي يتجسد في الإدارة وبذل الجهد والمثابرة عليه من اجل تحصيل العلم واكتساب المهارة من اجل تنمية العقل وتفتيح الذهن وتحقيق الأهداف »[2]

توجيه العمل :

إن مالك يقصد من توجيه العمل سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد بما في ذلك جهد الراعي، والحرفي، والطالب و المثقف، والفلاح ، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في البناء، فهو تأليف لكل هذه الجهود لتغيير وضع الإنسان وإيجاد بيئة جديدة ، فإن العمل مهم في تحقيق مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي «أن توجيه العمل في مرحلة التكوين الاجتماعي بعامة يعني سير الجهود الجماعية في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد السائل، والراعي وصاحب الحرفة والتاجر،والطالب والعالم، والمرأة ،والمثقف .... وعلى قدر ما يصبح في البلاد من فنيين وفنون وحرف،تتجه أحوال معيشة الفرد إلى وضعها الطبيعي حتما، ولا يمكن أن يحدث هذا دون ذلك لأنه كلما تقدم التوجيه تغيير وجه الحياة حتما »[3]، ان العمل داخل المجتمع يولد التعاون وروح المشاركة بين الأشخاص كما يؤدي إلى بروز قيم تربوية تساهم في بناء المجتمع .

1-مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق،ص95.

2- العابد ميهوب:الفكر التربوي عند مالك بن نبي،مرجع سابق،ص208ز

3- مالك بن نبي:مصدر سابق،ص198.

البعد الجمالي للتربية :

هو عنصر من عناصر التغيير الاجتماعي والثقافي ويستشهد " مالك بن نبي " في ذلك بتاريخ الحضارة الغربية التي طغى فيها الجانب الجمالي على الجانب الأخلاقي أكان هذا الجمال منبثقا عن الجمال الصناعي أو جمالا طبيعيا أي جمال الطبيعة نفسها « لكن الجمال عندنا في التاريخ الإسلامي يعكس وبصدق صفاء الضمير، والنفس البشرية، انظر مثلا إلى وجه الجمال في الشاعرية الفياضة لإبن الرومي أو لربيعة العدوية» [1]

ويتجلى هذا في قول مالك بن نبي يقول «فبذوق الجميل الذي ينطبع فكر الفرد ،يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل ، توخيا للكريم من العادات، ولاشك أن للجمال أهمية اجتماعية هامة، إذا ما اعتبرناه المنبع الذي تنبع منه الأفكار، وتصدر بواسطة تلك الأفكار أعمال الفرد في المجتمع »[2]

يرى مالك بن نبي أن الجمال له تأثير في الروح الاجتماعية ويشرح هذه الفكرة بقوله « إن الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الأعمال ،وهي تتولد من الصور الموجودة في الإطار الاجتماعي فتنعكس في نفس من يعيش فيه، وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره، فالجمال الموجود في الإطار الذي يشمل على ألوان وأصوات وروائح وحركات وأشكال يوحي للإنسان بأفكاره ويطبعها بطابعه الخاص، من الذوق الجميل ،فبذوق الجميل الذي ينطبع فيه فكر الفرد، يجد نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل »[3]،وهنا يتضح أن الذوق الجمالي شرط مهم من شروط الفعالية، لأنه يضيف إلى واقع الأخلاقي عند الفرد دوافع ايجابية .

1- لخضر حميدي:مشكلة التغيير عند مالك بن نبي،مرجع سابق،ص70.

2-مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق،ص92.

3- مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،مصدر سابق،ص82.

البعد الفني للتربية :

البعد الفني للتربية «يتمثل في إرساء قواعد فنية وجمالية يستطيع الفرد أن يتقمص الأبعاد الجمالية للتربية في حياته الخاصة أو الجماعية في علاقاته مع أفراد المجتمع »[1]

فنجد مثلا إبن خلدون ينظر إلى التعليم باعتباره (صنعة) من الصنائع أو كما نعتبر نحن عنه،ونسميه فن من الفنون العملية التي لا يمكن أن يقف الإنسان فيها عند حد العلم بل لابد من الممارسة والتدريب حتى يكتسب الفرد المهارة للتغيير ،والتطوير والإصلاح يقول إبن خلدون «التعليم للعلم من جملة الصنائع ،وذلك أن الحذق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه، إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله »[2]

إن التربية هي الأساس الأول في بناء الفرد، ومن ثم فهي أساس في تقدم المجتمعات لبشرية وازدهارها باعتبار التربية هي المدخل لاجتياز أزمات الأمم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

البعد النفسي للتربية :

لقد تكلم مالك بن نبي عن العنصر الديني ،باعتباره ركيزة أساسية في بناء شخصية الفرد وهو عامل مهم يعمل على خلق التوازن النفسي لدى الفرد في المجتمع ،يقول مالك «وهكذا يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف (أنا) الفرد، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعا لمقتضيات النشاط الخاص بهذه (الأنا) داخل المجتمع، تبعا للنشاط الذي يؤديه المجتمع في التاريخ »[3]

1- العابد ميهوب:الفكر التربوي عند مالك ،مرجع سابق،ص268.

2- عبد الرحمان ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون،(دار القلم،ط1،بيروت،1978)،ص396.

3-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع ،مصدر سابق،ص74.

وبذلك،فالتربية الحقيقية هي التي تنمي استعدادات الفرد لتمكنه من تلبية مطالب المستقبل ،فالمستقبل وليد الحاضر والتربية التي تولي عناية بظروف الحاضر هي التي تصنع المستقبل، وتصنع الفرد شخصية سوية تمكنه من التفاعل مع الآخرين «ويتعلق البعد النفسي للتربية في إشاعة الأمن والاطمئنان، فالمجتمع نسق تربوي يرتبط العضوي بالآخر في علاقة ترابطية تكاملية الهدف منها إشاعة الأمن بين أفراد المجتمع»[1] فالمجتمع المتماسك هو المجتمع الذي يحقق أفراده علاقات إخوة مبنية على التعاون من اجل تحقيق التقدم في مختلف المجالات .

1-العابد ميهوب:الفكر التربوي عند مالك،مرجع سابق،ص 260.

خلاصة :

التربية تساهم في تكوين شخصية الإنسان و تدفعه نحو تحقيق التقدم في مختلف الجوانب، كما انها تمثل ذلك الأساس الذي تبنى عليه حياة الإنسان ،و تقضي على مختلف مشاكله في الحياة، كما ان هذه التربية إذا بنيت على قواعد صحيحة فإنها تكون الإنسان و تساهم في ترقية أفكاره ،وقد توضح لدينا أن التربية في نضر مالك بن نبي هي عملية تثقيف متواصلة أي انها مرتبطة بالثقافة ،والثقافة بدورها هي ذلك الجسر الذي يعبره المجتمع ليصل الى درجة الرقي والتمدن ،كما انها تعد ذلك المحيط الذي يتحرك في حدوده المجتمع ،وقد حصر مالك بن نبي برنامج الثقافة بمعناها التربوي في أربعة عناصر واعتر ان هذه العناصر هي التي يتخذ منها الشعب دستورا لحياته المثقفة ،وتمثلت في المبدأ الأخلاقي لتكوين الصلات الاجتماعية ،والمنطق العملي لتحديد أشكال النشاط المشترك بين أفراد المجتمع ،وأخيرا الصناعة و هنا يطرح الاهتمام بالجانب المادي من خلال توفير الوسائل المادية المناسبة والتي تخدم المحتمع ،إن هذه العناصر يراها مالك بن نبي هي الكفيلة بتحقيق شروط الفاعلية في المجتمع .

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن غيره من بني جنسه دون أن تربطه بهم علاقات إنسانية ولن تقتصر هذه العلاقات على الناحية المادية فقط بل يتفاعل معهم باعتباره إنسانا له حاجاته البيولوجية ويبحث عن وجوده بفضل عملية الانجذاب التي فطر عليها نحو الجماعة،فالتربية توجه غرائز الإنسان و تنمي ميولاته بما يتناسب مع ثقافة المجتمع كما أنها تجعل الفرد يتكيف وسط البيئة ،والتي ينتمي اليها من خلال تكوين العلاقات الاجتماعية المتماسكة،لقد تنبه مالك بن نبي الى الأخطار والأضرار التي تؤدي بالمجتمع الى الانهيار من خلال احتكاكه بالثقافة الغربية إذ توصل الى نتيجة ان الافراد الذين يحيدون عن مسار الاخلاق والدين يقعون في فخ التخلف ،لذا يرى بن نبي بضرورة التربية الاجتماعية لأنها عملية إنسانية من خلالها يحقق الإنسان ذاته ويصبح مواطن صالح في المجتمع،فالتربية الاجتماعية تعمل على تهذيب سلوكه و تتناول جميع جوانب شخصيته و تساعده على تحقيق التكيف الناجح .

المبحث الأول : التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي

- **مفهوم التربية الاجتماعية:**

إن التربية تمكن الإنسان من الاحتكاك بالآخرين وهذا الاحتكاك يؤدي إلى عملية التكيف وهو ما يطلق عليه مالك بن نبي التربية الاجتماعية فهي عنده « وسيلة فعالة لتغيير الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتيح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في التاريخ »[1] .

وبذلك فالتربية الاجتماعية تسعى إلى جعل الفرد مستجيبا للمؤثرات الاجتماعية بما تفرضه من ضغوط و التزامات تكسبه مهارة العيش مع الآخرين « إن واجبك أن تعلمه كيف يعيش لا كيف يتحاشى الموت , والحياة ليست نفسا تتردد بل هي نشاط و استخدام الجوارح والحواس و الوظائف الحيوية من سائر عناصر كياننا»[2] .

إن الغاية من التربية الاجتماعية هي اعداد المواطن الصالح الذي يستفيد المجتمع من حياته « فالرجل الذي لا يشعر بالحياة هو الحي الميت يتنفس ولكنه لا ينتفع بحياته ولا ينفع بها غيره »[3] .

إن هدف التربية هو تكوين إنسان كامل متصل بمسائل الحياة، ويعمل على تجاوز معضلاتها فالحياة لا تختزل في الترف و التمتع بل الحياة هي العمل، أن يقف الإنسان عند قيمة إنسانية فيعرف كيف يستخدم طاقته الداخلية بما ينفع المجتمع

1-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص93.

2-جون جاك روسو، أيميل، ترجمة نضمي الوفاء،(دار النشر الشركة العامة، ط1، 1958م)، ص: 33 .

3-محمد العطية الإبراشي، أصول التربية المثالية في أيميل، (دار المعارف، القاهرة، ط1، دون سنة)، ص: 60 .

موضوع التربية الإجتماعية :

بما أن التربية عملية تنمية للفرد من جميع جوانبه الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والخلقية والإجتماعية بحيث تنعكس هذه التنمية بصورة مباشرة على سلوكياته، وهي على هذا تشمل كل المراحل التي يمر بها الإنسان من طفولته التي بنضجه تدريجيا ولقد مثلها مالك بن نبي في المنحنى البياني الذي يمثل المراحل الثلاث :

مرحلة الروح :

مرحلة الروح هي تجسيد لتلك العلاقة التي تربط الإنسان بفكرة دينية معينة تؤثر على نفسية الإنسان وحالة المجتمع، وتنقلها من مرحلة ما قبل التحضر إلى مرحلة التحضر والشيء الذي يميز مرحلة الروح عند مالك بن نبي هو سيطرة قانون الروح، الذي يتيح للفرد أن يتخلص من الحالة الطبيعية الفطرية التي كان يعيشها في المرحلة الأولى ما قبل التحضر – ويتغير في مستواه النفسي و الاجتماعي تغيرا ملحوظا يختلف عن تلك التغيرات التي ألفها في مرحلته الطبيعية وهذا عن طريق تلك التأثيرات الروحية التي تفرضها الفكرة الدينية، تعتبر العقيدة الدينية المبدأ الذي يعطى للمجتمع الدفعة القوية للوقوف على بادرة الحضارة لأن «كل تغيير اجتماعي يشترط وجود تغيير نفسي يتزامن مع ذلك الشعور القوي في الإنسان و الذي تصدر عنه مخترعاته تصوراته و تبليغه رسالته وقدرته الخفية على إدراك الأشياء، كل ذلك إنما تشكله الروح الدينية »[1] .

إن الفكرة الدينية في نظر مالك بن نبي تمثل مرحلة الروح التي يتم فيها خروج الإنسان من الحالة الطبيعية ودخوله في الحياة الاجتماعية ويتم فيها ايضا ضبط غرائزه الحيوانية وإخضاعها لنظام أخلاقي سام ودقيق يقول مالك بن نبي : «في هذه الحالة يتحرر الفرد جزئيا من قانون الطبيعة المفطور في ذاته ويخضع وجوده كله للمقتضيات الروحية التي أوجدتها الفكرة الدينية في نفسه، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة طبقا لقانون الروح »[2] .

وقانون الروح يعني سيطرة العقيدة على الغرائز وهذا لتكون الروح الدينية مبدأ أساسي في عملية التغيير الحضاري يقول مالك بن نبي «... فالحضارة لا تظهر في أمة من الأمم إلا في صورة وحي يهبط من السماء

1-مالك ابن نبي :شروط النهضة، مصدر السابق، ص- ص: 84 – 85 .

2- يوسف حسين، واقع المسلمين وسبيل النهوض لهم في فكر مالك بن نبي، (مجلة الموافقات عن المعهد الوطني لاصول الدين، العدد3، 1994م، خروبة الجزائر)، ص: 353 .

ويكون للناس منهاجا، فكأنما قدر للإنسان ألا تشرق عليه شمس الحضارة إلا حيث يمتد نظره إلى ما وراء حياته الأرضية، أو بعيدا عن حقيقته إذ حينما يكتشف حياته الكاملة، يكتشف معها أسمى معاني الأشياء التي تهيمن عليها عبقريته و تتفاعل معها »[1] .

يظهر من هذا القول أن مالك يجعل الوحي أو الدين مبدأ تأسيسي لنهضة حضارية كما يعتبر الدين كمركب للقيم الاجتماعية، فالدين يقوي صلة المخلوق بخالقه، كما يبعث فيه الإحساس الدائم بالمسؤولية ويقظة الضمير وهذه أسمى معاني الإنسانية وبذلك تشكل مرحلة الروح مرحلة العطاء والنمو والتطلع للغايات بأقوى ما تكون عليه المجتمعات في عطائها حيث أن المجتمع المنشئ للحضارة يكون في هذه المرحلة في تفاعله مع الواقع مثل مرحلة الشباب في الطبيعة البشرية .

مرحلة العقل :

في هذه المرحلة يكون المجتمع مستمرا في تحقيق مبادئه الدينية وتقوية روابطه الداخلية، كما أن المرحلة العقلية في المجتمع هي الانتقال الى العطاء واستثمار الجهد البشري والانتقال الى الانتاج وتنويعه والموازنة بين العطاء والأخذ «مرحلة العقل هي تجسيد الروح في العقل وليست هي الروح ذاتها بل هي تنازل الروح إلى عالم العقل وقوة العقل وسلامته مستمدة من قوة الروح والإيمان،وإذا ما ستقرآنا التاريخ نجد كيف أن مرحلة العقل تجسدت في العهد العباسي أو ما يسمى بالعصر الذهني بمرحلتيه الأولى والثانية »[2] هذه المرحلة في نظر مالك بن نبي مثلت وتمثل انحرافا في المسار الأصلي للحضارة الإسلامية .

إن واقعة صفين دلت على ان مجموع الطاقات الاجتماعية لم يعد يعمل لان قسما منه بات ينشط في اتجاه مضاد للمثل الأخلاقي الا على للمجتمع ذلك ان «الفكرة الإسلامية لم يعد لها في سلوك الفرد ما كان لها من فاعلية في عهد النبي (ص) »[3] .

1- مالك بن نبي، شروط النهضة، المصدر السابق، ص56 .

2-لخظر حميدي، مشكلة التغيير عن مالك بن نبي، مرجع سابق، ص62 .

3- مالك بن نبي، آفاق جزائرية: ترجمة الطيب شريف،(مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ط ، 1964م)، ص – ص،59 – 60 .

إن مرحلة العقل حسب مالك بن نبي ليست بدائمة لأن الحضارة ستسقط في مرحلة أخرى وهي مرحلة الغريزة ،وتأتي هذه المرحلة بسبب أن العقل الإنساني لا يستطيع أن يمتلك القدرة نفسها التي تسيطر بها الروح على الغريزة اذ الغريزة تبحث عن التحرر من القيود التي فرضها المبدأ الروحي .

مرحلة الغريزة :

تشبه مرحلة الشيخوخة حيث لا يصبح العقل سلطانا كاملا على الحركة والفعل فتفقد الحضارة والمجتمع والفرد مستوى الفاعلية وما تتميز به مرحلة الغريزة هو توقف الروح عن إنارة الطريق واختفاء العقل عن الرقابة والتأثير و التوجيه فتصبح الحركة مثل الفعل غير إرادي الذي لا هدف له ولا غاية انما جملة من الانطباعات يقول مالك بن نبي« ... إن العقل لا يملك سيطرة الروح على الغرائز وحينئذ تشرع الغرائز في التحرر من قيودها بالتدريج على الصورة التي عرفناها في عهد بني أمية إذا أخذت الروح تفقد نفوذها كما كف المجتمع عن ممارسة ضغطه على الفرد »[1]

مرحلة الغريزة هي المرحلة الأخيرة التي يصلها المجتمع في هذه المرحلة يسود التفكك، والضعف والفساد «ويبدوا الانحطاط نتيجة حتمية لانطلاق الغرائز وفقدان العقل لوظيفته الاجتماعية، وانطفاء ذلك التوتر ... هذه المرحلة تتمثل في حقبة تدهور الدويلات الإسلامية، الذي سبق هجمة التتار على الحضارة التي شاخت وصارت قابلة للانهيار »[2]

وهذا الرسم سوف يبين المراحل التي تمر بها الحضارة : [3]

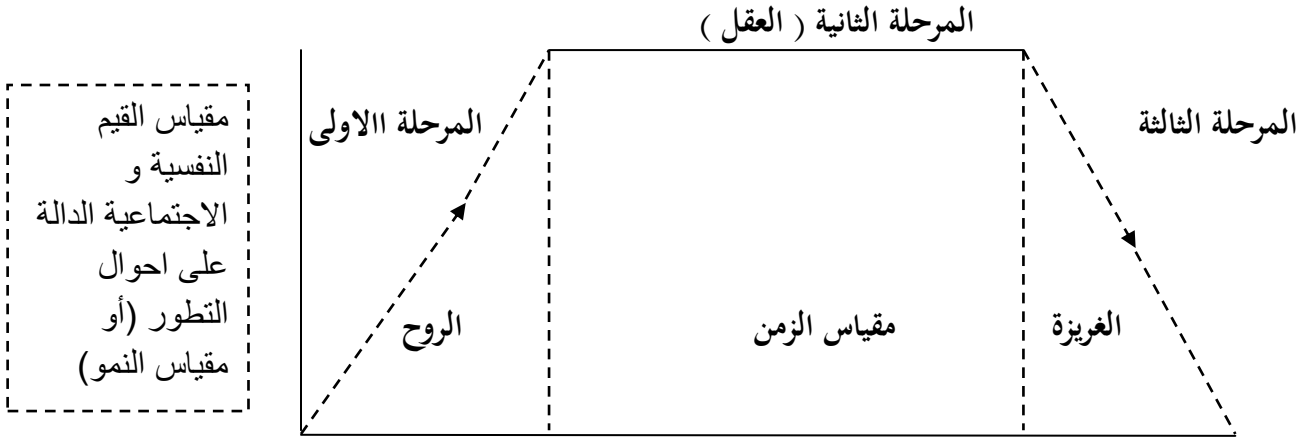

1--مالك بن نبي:آفاق جزائرية،مصدر سابق،ص64.

2- فوزية بريون: مال بن نبي عصره، وحياته ونظريته في الحضارة، (دار الفكر، ط1، دمشق، 2010م)، ص: 151 .

3-مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق،ص52.

- يتضح من خلال هذه الصورة أن الحضارة تمر بمراحل ثلاث هي مرحلة الروح ، وتبدأ من ظهور دين معين وتسير باتجاه صاعد بحيث تسجل أعلى الدرجات لنمو القيم النفسية والاجتماعية , ثم تعيقها المرحلة الثانية العقل وهي مرحلة الانتشار والتوسع للحضارة في هذه المرحلة تبدأ القيم النفسية والاجتماعية في التراجع عن نموها السابق والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الغريزة وهي أفول الحضارة ورجوع المجتمع الى مرحلة ما بعد التحضر .

الشروط الاولية للتربية الاجتماعية :

يرى مالك بخصوص الشروط الاولية في التربية الاجتماعية، انه يجب أن نواجه مشاكلنا الاجتماعية وان لا نقيس الحلول الجاهزة من الخارج ،ويرى انه من اجل القضاء على مشاكلنا الاجتماعية ينبغي أن لا يقتصر عملنا على اقتراض الحلول التي تأكدت صحتها خارج بلدنا «ليس اوهن ولا اضعف من ان نرفض الاستعارة بتجارب الآخرين والإفادة من جهودهم ولكن بشرط أن نرد الحل المستعار إلى أصول البلد المستعير، وبعبارة أخرى ينبغي أن نهيئ في بلادنا المحيط اللازم لتطبيق ما نتصور من حلول لمشاكلنا الاجتماعية »[1] .

لقد تكلم مالك عن المشاكل التي تواجه العالم الإسلامي وكيف ان مفعول الفكرة الإسلامية قد اختفى في عصرنا ولم يعد باستطاعتها إخضاع الطاقة الحيوية كما في عهد النبي (ص) بانتشار الإسلام ساهمت الفكرة الإسلامية في إخضاع الطاقة الحيوية لدى الفرد البدوي العربي وجعلت منه إنسانا متحضرا يسعى إلى بناء الحضارة «فعندما كان النبي مشغولا في المدينة بالمطالب المادية للدولة الإسلامية الفتية من اجل مواجهة ضرورات الحرب التي ستبدأ بمعركة بدر كان صحابته يقدمون له عن طيب خاطر جزءا من أموالهم و يعقب سعد بن عبادة على عمله بتلك الكلمة المعبرة يا رسول الله خذ من أموالنا ما شئت وما أخذته منا أحب إلينا مما تركت »[2] .

هذا المثال يوضح لنا كيف أن الطاقة الحيوية التي يعبر عنها مالك في صورة غريزة التملك في الإنسان تتحول إلى طاقة منظمة تساهم في بناء المجتمع وتعبر عن تماسك شبكة العلاقات الاجتماعية .

1- مالك بن نبي : ميلاد مجتمع، المصدر السابق ، ص 104

2_مالك بن نبي :المصدر نفسه، ص: 108

«فالمجتمع الذي فيه عقول خاوية أو محشوة بأفكار ميتة وفيه ضمائر خربة وروابط متهدمة (لا اتحاد ولا تلاحم بينها) لا يستمر في مسيرته الحضارية »[1] .

تكلم مالك عن الطاقة الحيوية ويرى أن عدم تكيف الطاقة الحيوية فيما يخص خدمة المجتمع سيؤدي إلى هدمه لذلك يرى بضرورة تكيف الطاقة الحيوية من اجل ان يتواصل الفرد مع مجتمعه « فنحن بحاجة إلى إعادة تنظيم طاقة المسلم الحيوية وتوجيهها ... ويجب تحديد رسالة المسلم الجديد في العالم فبهذا يستطيع أن يحتفظ باستقلاله الأخلاقي حتى لو عاش في مجتمع لا يتفق مع مثله الأعلى كما انه يستطيع أن يواجه على الرغم من فقره او ثرائه – مسؤولياته »[2] .

1- مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الافكار في العالم الاسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي،(دار الدعوة، ط1، الاسكندرية، 1997م)، ص: 26 .

2- مالك بن نبي :ميلاد مجتمع، المصدر نفسه، ص، 114 .

المبحث الثاني : اسس التربية الاجتماعية

بناء شبكة العلاقات الاجتماعية :

لقد تطرق مالك بن نبي الى مفهوم المجتمع والمجتمع :« هو تجمع أفراد ذوي عادات متحدة يعيشون في ظل قوانين واحدة ولهم فيما بينهم مصالح مشتركة »[1] ،أي أنهم يعيشون ضمن مجموعة من العلاقات الاجتماعية «تكتسب الجماعة الإنسانية صفة (المجتمع) عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من اجل الوصول الى غايتها وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة »[2]

إن الإنسان لا يستطيع الاستغناء عن العلاقات الاجتماعية فهو « في مستوى حشرة بسيطة كالنحلة نرى أن الحياة الاجتماعية ضرورية بالنسبة لكيان الفرد , فهو يلقي بنفسه الى التهلكة اذا انفصل عنها والإنسان شانه في هذا شان النحلة انه لا يستطيع ان ينعزل عن المجتمع , ويحاول العيش بجهده الخاص، اذ مصيره من غير شك الى الموت »[3]

فالعلاقات الاجتماعية تساهم في بناء المجتمع وتوفر الصلات الضرورية ، التي تربط بين الأشخاص والأفكار والأشياء من اجل تفعيل نشاط هذه العوالم في إطار عمل مشترك من اجل التغيير لذلك فان أفراد المجتمع يجب أن يدركوا أهمية الجماعة وضرورة التواصل من اجل تحقيقه ما يسمى بالتحضر يقول مالك « ان معنى التحضر أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة ويدرك في الوقت ذاته الأهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية , من اجل وظيفتها التاريخية ... »[4]

إن وظيفة التربية تتمثل في نقل الإنسان من عالمه الضيق إلى عالم الآخرين الواسع فلابد أنها تنتمي إدراكه لذاته في الحال مع نفسه وفي محيطه ولا يتحقق ذلك إلا في نطاق وجود شبكة من العلاقات الاجتماعية ليتمكن من تؤديه مجموعة نشاطاته يقول مالك فان « ..... مجتمعا معينا لا يمكن أن يؤدي نشاطه المشترك دون أن

1-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع، المصدر السابق، : 15 .
2-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع، المصدر السابق،ص18.
3-مالك بن نبي:تأملات،(دار الفكر،ط1ندمشق،1979)،ص155.
4-مالك بن نبي:مصدر سابق،ص82.

توجد فيه شبكة العلاقات التي تؤلف عناصره المختلفة النفسية والزمنية ... وكل علاقة هي في جوهرها قيمة ثقافية يمثلها القانون الخلقي الدستور الجمالي الخاص بالمجتمع »[1]

يرى مالك أن العلاقات الاجتماعية تفقد مبادئها إذا تفاقمت المشاكل بحيث يصير العمل المشترك صعبا بين أفراد المجتمع الواحد ويقول مالك في هذا «فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب الذوات بالتضخم ، يصبح العمل الجماعي المشترك صعبا ،أو مستحيلا ،إذ لايدور النقاش حينئذ إيجاد حلول لمشكلات , بل للعثور على أدلة وبراهين » [2] ،وفي نفس الفكرة يرى مالك بأنه إذا بلغ الحد النهائي في تطوره عندما يفقد بالتدرج خاصته الانسجام «... ويصبح في نهاية تحلله عاجزا عن أداء نشاطه المشترك أي انه يتوقف على أن يكون مجتمعا بالمعنى الدقيق الذي نقصد اليه من هذه الكلمة »[3]

عالم الأفكار ودوره في تفعيل الطاقة الحيوية :

إن الأفكار عند مالك هي عالم قائم بذاته بين عناصر البناء الثقافي «ويكتشف الإنسان عالم الأفكار عبر اكتشافه لعالم الأشياء أولا ، وحين يلمسه في فترة الطفولة ، ثم يأخذ تدريجيا في اكتشافه لعالم الأشخاص لمقدار ما يربطه من علاقات عاطفية ، تبدأ مع عائلته الصغيرة ، ثم تأتي الخطوة التي يصفها مالك بالحاسمة في نمو الإنسان ، حين يضع قدمه على عتبة عالم الأفكار من خلال تكوين روابط شخصية في حياته »[4]

كم أن استجابة الشخص لنداء الجماعة دليل واضح على أن طاقته الحيوية انتقلت من أداء وظيفة بيولوجية إلى أداء وظيفة اجتماعية أكثر سموا وفي هذا يقول مالك بن نبي «إن القدرة على تطويع الطاقة الحيويةلا تكمن في اختيار متعمد لحل متطرف ، فالحل بصفة عامة لا يوجد في اختيار صارم ولا في انطلاق متحرر جدا وليس بالأحرى تحديد توازن بين هذين الحلين المتطرفين ،بل انه قبل كل شيء في القوة التي تدعم هذا الحل او ذاك اي طبيعة الفكرة الدافعة التي تقف وراءه ومقدار قوتها في تلك اللحظة »[5]

1-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،مصدر سابق،ص48.
2- المصدر نفسه،ص40.
3- المصدر نفسه،ص35.
4-المصدر نفسه،ص55.
5-مالك بن نبي:مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي،ص53.

إن الأفكار المطبوعة التي تكلم عنها مالك بن نبي هي المسؤولة عن عملية التكييف كما أنها تؤهل الطاقة الحيوية للقيام بأدوارها الايجابية حيث يرى مالك بأن الأفكار المطبوعة أو الأفكار الأولى (الفكرة الدينية) هي التي وضعت المجتمع الجاهلي على عتبة الحضارة هذه الأفكار أضفت مسحة من القداسة على العالم الثقافي للمجتمع المسلم

تأثير عالم الأشياء على شبكة العلاقات الاجتماعية :

تهدف عملية البناء الحضاري إلى توفير الشروط الأخلاقية والمادية المساعدة على تسهيل حياة الفرد وعالم الأشياء واحد من الشروط المادية التي توفرها الحضارة ويشكل طرفا هاما في عملية بناء الحضارة , باعتباره المجال الذي يطبق فيه عالم الأشخاص افكاره كما أن الفكرة تؤهل الشيء ليمارس وظائفه الاجتماعية و هذا ما وصل إليه الحضارة في مرحلة تكوين عالم الأشياء إلى أخر مقتضيات الإقلاع والنهضة

«اننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا إذا يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة وإذا ما أردنا حصرا لهذه القضية فإننا نرى سببها الأصيل في اعتقادنا ، الرابط الذي يربط بين عمل وهدفه ، بين سياسة ووسائلها بين ثقافة ومثلها ، بين فكرة وتحقيقها ، فسياستنا تجهل وسائلها و ثقافتنا لا تعرف مثلها العليا »[1]

حسب مالك أن النهضة تتحقق من خلال وجود الفاعلية لذلك يجب القضاء على ما يسميه مالك باللافاعلية لأنها تعد من أهم معوقات النهضة لذلك يرى مالك بأنه من واجبنا القضاء على الركود يقول مالك «اذا تحرك الانسان لتحرك المجتمع , والتاريخ , إذا سكن الإنسان سكن المجتمع ،والتاريخ ، ذلك ما تشير اليه النظرة في تاريخ الانسانية »[2]

ومن هنا فنحن بحاجة الى «تربية اجتماعية تشترك في هذا المصير العام : فهي تعني شيئا إذا لم تكن ... وسيلة فعالة لتغيير الإنسان ، وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه ، وكيف يكون معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما وكيف يكون معهم شبكة العلاقات التي تتح للمجتمع أن يؤدي نشاطه المشترك في

1-بشير ضيف الله:فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، د-ط، 2014، ص97.

2-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص65.

التاريخ »[1]،نحن بحاجة إلى نظام تربوي هدفه تحقيق الرقي للمجتمع كما يساهم في خلق الأفاق التي تحقق الكمال الخلقي لدى افراد المجتمع الواحد ويمكن القول «ليست العلاقات مجرد اثر ناتج عن اضافة أشخاص وأفكار وأشياء إلى المجتمع فالواقع أننا حين نتحدث عن عالم من هذه العوالم الثلاثة فإنما نقصد إلى الحديث عن المجتمع في مرحلة من مراحل تغيره ،اي في مرحلة يعد كل عالم منها في ذاته ثمرة هذا التغيير » [2]فالتغيير الاجتماعي هو نتيجة حتمية لتفاعل هذه العوالم الثلاثة فيما بينها

« فمتى ما نجحنا في توجيه تكويننا التربوي ، وربطناه لمقوماتنا ، وتطلعاتنا المؤسسة على معطيات واقعية ، ومرجعيات متوازنة وفق مناهج علمية موضوعية تراعي كل خصائصنا من باب مراعاة النجاعة ،والفاعلية فإننا قد وضعنا القدم الاولى في مسار الاقلاع الحضاري المرتقب بعد مرحلة فراغ رهيبة »[3]، التغيير الاجتماعي في نظره لا يحدث إلا إذا اجتمع القول والفعل معا و الدليل على ذلك حينما التقى العلم بالدين حدث التغيير الاجتماعي في المجتمع العربي يقول مالك « والفاعلية تكون اقوى في الوسط الذي ينتج اقوى الدوافع وانشط الحركات واقوم التوجيهات »[4].

1-مالك بن نبي:ميلاد مجتمع، مصدر سابق، ص53.

2-المصدر نفسه،ص29.

3- بشير ضيف الله:فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي، مرجع سابق، ص ص113-114.

4-مالك بن نبي:مصدر سابق، ص32.

المبحث الثالث: دور التربية الاجتماعية في تعزيز علاقات أفراد المجتمع .

دور الدين في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية

إن الإنسان المتمسك بمكارم الأخلاق فان نفسه تصفوا و أحاسيسه تسموا ويتخلص من عبودية الذات والأنانية ليجد ذاته في الآخرين فالفرد هو عضو في المجتمع لا مكانة له بدونه ولا أهمية لذاته اذا انتزعت من إطارها الاجتماعي وبذلك يؤكد الإسلام على أن الفرد الذي يهتم بعلاقاته مع الآخرين لا يجد نفسه منبوذا ولا ينحدر الى مستوى التدني والفساد الخلقي لذلك على الفرد ان يتمسك بمكارم الأخلاق ، وهي التي تتمثل الفضائل العالية والقيم المثلى فالله سبحانه وتعالى كرم الإنسان فضله على العالمين واستخلفه في الارض وأراد أن يكون حرا كريما عزيزا ينطلق في هذه الحياة على فطرته السليمة وستجيته القويمة ، فالوظيفة التي حملها القران الكريم للإنسان إنما هي عمارة الأرض من خلال إقامة مجتمع إنساني سليم , وتشيد الحضارة وتحقيق أسباب الرخاء ،ان اثر العنصر الديني بارز في قيام اي حضارة وهذا ما علق عنه مالك بن نبي من خلال المثال الذي قدمه عن الحضارة الغربية «لو اننا تناولنا الدراسة مشروعا اجتماعيا كجمعية حضانة الاطفال في فرنسا لبدا لنا من أول نظرة انها جمعية تقوم على شؤونها دولة مدنية فنحكم عليها بأنها مؤسسة نشأت في بادئ أمرها على أساس مدنية (لادينية) في حين لو درسنا تاريخها ورجعنا الى أصولها لوجدناها ذات أصل مسيحي فهي تدين بالفضل الى القديس (فانس دي بول) الذي أنشأ مشروع الاطفال المشردين خلال النصف الاول من القرن السابع عشر»[1]

من خلال هذا المثال يتضح الاثر الذي يتركه المبدأ الديني أو الأخلاقي ونشأة المؤسسات الاجتماعية وكيف ان المبدأ الأخلاقي يأتي أثره واضح في المجتمع الغربي ويعطي مالك مثالا اخر سيدل على اثر العنصر الديني في صقل العبقرية الغربية وما توصلت اليه من انجازات حضارية .

يقول مالك «ان اكبر مصادر خطئنا في تقدير المدينة الغربية أننا ننظر إلى منتجاتنا وكأنها نتيجة علوم , وفنون وصناعات ،وننسى أن هذه العلوم والفنون والصناعات ما كان لها أن توجد لولا صلات اجتماعية خاصة ..... لا تتصور هذه الصناعات والفنون بدونها , انه الأساس الخلقي الذي قام عليه صرح المدنية الغربية في علومها بحيث

1- مالك بن نبي:شروط النهضة، مصدر سابق،ص89.

أو ألغينا ذلك الأساس لضاع جميع ما نشاهده اليوم من علوم وفنون » [1]وهنا يبرز مالك اثر العنصر الديني في نشأة الحضارة الغربية خصوصا عند المفكرين الألمان فالعنصر الديني يلعب دور كبير في بحث الحضارة فالدين هو الذي يرسم معالم الطريق الصحيح الذي يسير عليه كل مجتمع كما انه يبرز الظواهر الاجتماعية التي تعترض حياتنا، أن المبدأ الأخلاقي هو الذي يجعل المجتمع يسمو إلى الرقي وهذا ما جعل المجتمع الإسلامي في بداية نشأته مجتمعا متماسكا فالإسلام جاء لحفظ كرامة الإنسان ويقدر مكانته ويوفر للفرد التقدير والاحترام ويمكنه ان يصل الى حقوقه كاملة غير منقوصة كما أن الله سبحانه و تعالى حرم الاعتداء وهذا يظهر في قوله تعالى ﴿ولَا تَعْتَدِ وإِنَ الله لَا يُحِبُ المُعْتَدِينْ ﴾[2]كما حرم قتل النفس وذلك لكي لا يسود الطغيان والفساد الاخلاقي ﴿مِنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرَ نَفْسٍ أَوْ فَسَادًا فِيَ الأَرْضْ كَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعَا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعَا ﴾ [3]أي ان الاعتداء على نفس واحدة لمثابة الاعتداء على البشرية جمعاء ويكون القتل بغير حق مستوجبا غضب الله وعذابه ,كما امر الله بالتعاون والتضامن ونهى عن البغضاء والمنكر ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلى البِّرِ وَ التَّقْوَى ولَا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالعُدْوَانْ ﴾ [4]

فالتضامن الاجتماعي في الاسلام يعني التعاون البناء والتراحم و الحابب وأداء الحقوق واحترام الغير , فالفرد هو عضوا في المجتمع الاسلامي لا يجد ذاته واقعيا الا في أحضانه فهو مهما بلغ من العبقرية والانجاز , والإبداع لا يستغني عن مجتمعه الذي سيندمج فيه اندماجا كليا .

ان العلاقة الروحية بين الله وبين الانسان هي التي تولد العلاقات الاجتماعية ،وهذه تربط ما بين الانسان وأخيه الإنسان ، يجب ان تنظر الى العلاقة الاجتماعية والعلاقة الدينية معا من الوجهة التاريخية «ان الدين هو التعبير التاريخي والاجتماعي للتجارب المتكررة عبر القرون ، وهو يعتبر في منطق الطبيعة اساس جميع التغيرات الانسانية الكبرى ، لذلك فنحن لا نستطيع تناول الواقع الإنساني من زاوية المادة فحسب لان رسالة الإنسان في الحياة الاجتماعية ان يكون عاملا نفسيا زمنيا من خلال وعيه لذاته ولدوره في التاريخ »[5] ،انه لايؤثر فيها تبعا للوجود الزمني فحسب اي تبعا لحاجاته المادية ، بل انه يؤثر طبقا لوجوده النفسي اي طبقا لحاجاته الروحية

1-مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق،ص89.

2-القرآن الكريم :سورة المائدة،الآية87.

3-المصدر نفسه،نفس السورة،الآية32.

4-المصدر نفسه،نفس السورة ،الآية 02.

5-الأخضر شريط: مفهوم الانسان في فكر مالك بن نبي،تنظيم المجلس الاسلامي الأعلى،2003.

وتلك هي حقيقة الإنسان فالتربية الدينية تبدأ من الأسرة فكل إنسان يحتاج إلى التذكير إن كان كبيرا والى التربية إن كان صغيرا «والتربية المنزلية في الإسلام تشمل محبة الله تعالى والدين والقران والعبادات وحب النبي (ص) وحب البيت النبوة ، فينشا الولد ذكرا كان او أنثى مزودا بالدين القوي الذي ينفعه في حياته ومتحصنا بالأخلاق الكريمة والآداب السامية »[1] فبالتربية تتم عملية نقل القيم والمعرفة والمعتقدات الى الفرد لجعله يتواصل مع الآخرين لذلك يجب بناء شبكة العلاقات الاجتماعية على أساس القيم الأخلاقية الإسلامية والمواساة والتكافؤ بين الناس وتجنب الأنانية الاجتماعية .

دور الاخلاق في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية :

ان دعوة الاسلام الى ربط العلم والتكنولوجيا بالقيم الخلقية هو الجوهر الاساس بناء الاسلام وإقامة حضارته بعد توحيد الله والإيمان بالغيب ويطلق على هذه القيم الاخلاق وتزكية النفس ،« والأخلاق في اللغة جمع خلق وهو العادة و السجية والطبع ، والمروءة ،والدين ، وقد يطلق لفظ الاخلاق على جميع الافعال الصادرة عن النفس محمودة كانت مذمومة ، اذا اطلق على الافعال المحمودة دل ذلك على الادب »[2]وفي هذا يقول ابن منظور «الخلق هو الدين والطبع والسجية وحقيقته ، ان صورة الانسان الباطنية ، هي نفسه و اوصافها او معانيها المختصة بها منزلة الخلق بصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها »[3]

فالإسلام دعوة تقوم على مكارم الاخلاق ولقد اعطى الاسلام التربية الخلقية بالغ الاهمية على مستوى الفرد ، والمجتمع كما ، اعتمد الإسلام على الأخلاق ، واعتبرها أساسا ، ومنطلقا للدعوة ، وما قوله تعالى بحق الرسول الكريم ﴿وانك على خلق عظيم ﴾ [4] ،الا تأكيد على هذا الاهتمام حيث تجد الالفة ثمرة حسن الخلق ،والتفرق ثمرة لسوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب المحبة والتالف والتوافق ، و الايخاء والتعاون ، وسوء الخلق يؤدي الى التباغض والتحاسد و الكراهية ، كما ان سوء الخلق يؤدي الى انهيار العلاقات وفي هذا يقول مالك بن نبي «ان روح الاسلام هو الذي خلق من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي ،حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على اخيه ان ينكحه من يختار من أزواجه بعد أن يطلقها كي يبني أسرة،فقوة

1 –محمد سعيد رمضان البوطي:منهج الحضارة الانسانية في القرآن،(دار الفكر،ط1،دمشق،1998)،ص90.

2–ابن منظور:لسان العرب، مرجع سابق، ص86.

3–جميل صليبا:المعجم الفلسفي، ج1 ،ص49.

4–القرآن الكريم:سورةالقلم،الآية03.

التماسك الضرورية للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام ، ولكي أي إسلام الإسلام المتحرك في عقولنا وسلوكنا والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي »[1]

فعقيدة الإسلام التي يكون أساسها توحيد الله سبحانه وتعالى تحيط بالإنسان في جميع أصوله وعلى جميع مقاماته ومستوياته ومضمون القيم الأخلاقية هي جعل المسلم متوازنا في عنصر إسعاد لنفسه ولغيره ونأخذ أمثلة على ذلك طاعة الوالدين ، الإحسان إلى الجار ، احترام المسلم لغيره .

ان شبكة العلاقات الاجتماعية تكون قوية اذا ارتكزت على مبادئ اخلاقية وتكون اقوى حين يضبطها القانون الخلقي ، وإذا حدث خلل في تطبيق هذه القوانين حدث تمزق وانهيار لشبكة العلاقات الاجتماعية «.... كما حدث اخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين ، حدث تمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية التي تتيح له ان يصنع تاريخه »[2] ، لذلك ارتبطت الحضارة عند مالك بن نبي لمجموعة الشروط الاخلاقية فكلما كانت الاخلاق تقوم بدورها في المجتمع كانت سلوكات الأفراد مضبوطة وتسير وفق تحقيق التحضر فالحضارة عنده «مجموع الشروط الاخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين ان يقدم لكل عضوا من اعضائه في كل طور من اطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له ، في هذا الطور او ذلك من اطوار نموه » [3] ،ان بنية شبكة العلاقات الاجتماعية تتعزز بفضل نمو القيم الخلقية ،فان نمو هذه القيم مرتبط بصلابة البنية الداخلية للقيمة ذاتها والتي تحددها العلاقة بين افراد المجتمع الواحد ، فمالك يرى بان الدين هو اساس الاخلاقي الضروري لعمل النهضة ،كما انه منهج تغيير يوجد من المتفرقات تالف يعمل على بناء النهضة وهذا ما تمت ملاحظته في الجمع بين المهاجرين والأنصار حيث اصب حاول مجتمع اسلامي لذلك يرى مالك ان التغيير النهضوي مرتبط بالتغير على مستوى المنظومة الاخلاقية التي تضبط سلوك الفرد «لسنا نهتم بالأخلاق من الزاوية الفلسفية ولكن من الناحية الاجتماعية ، وليس المقصود تشريع مبادئ خلقية بل ان تحدد قوة التماسك الضرورية للأفراد في مجتمع يريد تكوين وحدة تاريخية ، هذه القوة مرتبطة في اصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد »[4]

1-مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،مصدر سابق،ص81.

2-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع،مصدرسابق،ص49.

3-مالك بن نبي: بفاق جزائرية ،مصدر سابق،ص ص46-47.

4- مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،مصدر سابق،ص89.

ونفهم من هذا ان مالك لا يتناول الاخلاق من الزاوية الفلسفية النظرية وانما يتناولها من الناحية الاجتماعية العملية كما ان فعالية المجتمع تزيد كلما كان المبدا الاخلاقي يؤدي دوره على مستوى الفرد والمجتمع وتبقى في النهاية المبادئ والقيم الاخلاقية هي مصدر الفضائل التي تساهم في بناء الحضارة .

من اكبر انجازات هذا المؤتمر هو توضيح الرؤية حول طبيعة الاستعمار وتوحيد الجهود لتحرير الشعوب المستعمرة ورسم مشاريع التعاون المشترك والتعايش «التعايش على محور طنجة – جاكرتا هو مجال للعمل التعاوني الذي يمكن ان يكون بين ثقافات متعددة ليشكل تركيب بينها بعيدا عن المحاولات التلفيقة التي تطمس معالم الثقافات »[1]

تناول مالك بن نبي مشكلة التركيب بين الثقافتين فليس المقصود بالتركيب المزج بين الثقافتين متجاورتين من حيث المبدأ وإنما تهيئة الاطار الاجتماعي بواسطة التحديد الايجابي للثقافة بحيث يتحقق التفاعل بين الثقافيين ،ان مالك يحاول ايجاد تبادل فعال في اطار الافرواسيوي بين الثقافة الاسلامية والثقافة الهندوسية «تعد الفكرة الافرواسيوية ضرورة القرن لكي تتيح للسلام بعض الفرص حيث تلقي في الميزان لمواردها الوحية , وان منطقية تخبق إمكانا طبيعيا حيث توجه نشاط الشعوب في طريق السلم »[2]ان مالك يؤكد ان لكل من الثقافتين وجودهما الخاص ويجب ان نتحدث بين الثقافتين ميثاق أخلاقي يتم من خلاله تحقيق التعايش والتعاون وبالتالي تحقيق السلام ، فالسلام بمفهومه الشامل كما في قوله عزا وجل ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورُ مَن يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنْ اِتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبَلَ السَّلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾[3] فالإسلام جاء ليحث على نشر السلام ، وعدم استخدام العنف لان العنف يؤدي الى سفك الدماء كما يؤدي الى احداث التفكك في العلاقات ، لذلك جاء الاسلام لترسيخ مبدأ السلام من اجل انشاء وحدة عالمية اساسها التفاهم والتعاون وبذلك يكون السلام مطلب انساني تهفوا اليه نقوس الافراد الى تحقيقه ويجب أن تتدخل التربية من اجل ترسيخ التنظيم والانسجام وتقوم بعملية البناء وتؤدي وظيفتها الاجتماعية على اكبر وجه اي ان «دورها الاساسي ان تعلمنا العيش المشترك والعمل المشترك وخاصة الكفاح المشترك هذه هي وظيفتها الاجتماعية

1- مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،مصدر سابق،ص ص102-105.

2- مالك بن نبي :الفكرة الافريقية الأسيوية،مصدر سابق،ص ص 131-132.

3_ القرآن الكريم:سورة المائدة، الآيتان15-16.

الاساسية » [1]وبذلك يرى مالك انه من واجب الدول العربية ان تعلم ابنائها كيفية مواكبة التحضر والتطور وبناء حضارة دون السير وراء التقليد الاعمى للغرب

-دور التربية الاجتماعية و دورها في نشر ثقافة التعايش :

تناول مالك بن نبي مسالة التعايش على مستوى العالم في شروعه الحضاري الافرواسيوي وفي كتابه مشكلة تناولها من ناحية ثقافية مبينا ان التعايش باستطاعته تحقيق الهدوء و تحقيق الاضطراب على المستوى السياسي واعتبر مالك ان «فكرة التعايش تعني في مفهوم السياسة ان الكبار تنازلوا عن اللجوء الى العنف لحل منازعاتهم »[2] ،فالحرب الباردة التي وقعت بين القوى العظمى ساهمت في ظهور القطبية الثنائية وهذا النظام ساد بعد الحرب العالمية الثانية يعتمد هذا النظام على وجود قوتين متفوقين في مركز القوى المؤثرة على الساحة الدولية وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي حيث يتمتع كل منهما لمواصفات القطب والقدرة على توجه الاحداث العالمية و تحريكها وكان لهذه القوى تأثير سلبي على دول العالم الثالث تمثلت هذه الاثار السلبية في ما يلي :

-وقوع دول العالم الثالث تحت سيطرة الدول الكبرى

- تعميق الفجوة بين الشمال والجنوب وصعوبة تخلص دول الجنوب من التخلف

- استمرار قمع الشعب الفلسطيني

- استمرار هجرة الادمغة

- توسيع نشاطات التجارة غير الشرعية (تبيض الأموال ، ا لمخدرات)

استخدمت في هذه الحرب الإيديولوجية كل الوسائل ما عدا السلاح وفي ظل الحروب التي اجتاحت العالم خاصة الحروب الدامية التي حصدت أرواح البشرية دعا مالك الى ضرورة التعايش في مؤتمر باندونغ في شهر ابريل 1955 والذي شاركت فيه تسعة وعشرون دولة بشكل هذا المؤتمر حدا بارزا في تاريخ الإنسانية في القرن العشرين ويعد هذا المؤتمر منعرج حاسم في سجل العلاقات الدولية ،ان مالك بن نبي قد غلق أمالا كبيرة على هذا المؤتمر وخصص له كتابا كاملا سماه فكرة الافرواسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ.

1-مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،مصدر سابق،ص134.

2-مالك بن نبي:الفكرة الافريقية الاسيوية،مصدر سابق،ص181.

المجتمع هو ذلك المجال التربوي الذي تتشكل في نطاقه العملية التربوية ،فالفرد يكتسب شخصيته و ثقافة مجتمعه من خلال التنشئة الاجتماعية إذ أن الفرد يضبط سلوكه ويشبع رغباته في إطار المجتمع ،كما أن الفرد يكتسب اللغة ،و العادات ،والتقاليد ،والقيم الخلقية من خلال احتكاكه بالبيئة التي يعيش في نطاقها ،فالمجتمع هو ذلك الوعاء الذي يحتوي التربية بداخله ،ويكتسب الفرد من خلاله القيم الانسانية ،كما أن التربية تعد عملية تطبيع اجتماعي او تشكيل اجتماعي ،يكتسب الفرد عن طريقها صفاته الإنسانية التي تميزه عن الحيوانات وتمكنه من أداء دوره المتوقع منه في المجتمع ،إن المجتمع الراقي هو ذلك المجتمع الذي يتميز أفراده بالوعي والقيم الفاضلة والذي يستخدم أيضا التربية كأداة للنهوض الحضاري ،ويتطلع الى مستقبله من خلال نظام تربوي يحفظ له أصالته ويمكنه من السير في موكب التقدم البشري .

تمهيد :

يعد مالك بن نبي من بين المفكرين الجزائريين الذين حاولوا البحث في القضايا التي تخص المجتمع الاسلامي و تعيق تقدمه ،حاول بن نبي البحث عن الطرق والسبل الكفيلة بإخراج المجتمع الاسلامي من هذا الوضع المتدهور حيث يرى أنه على الفرد العربي أن يخرج من دائرة التخلف باتجاه التغيير من أجل بناء حضارة قوية ولا يتم ذلك إلا من خلال دفع الفرد نحو التحضر ،ولجعل الفرد يسير في مضمار الحضارة هو ان تتم هيكلته تربويا و اجتماعيا ،وذلك من أجل أن يؤدي دورا فعالا في المجتمع ،فبصلاح الفرد يصلح المجتمع و يرتقي نحو بناء الحضارة ولا يتم ذلك إلا من خلال القضاء على العوامل التي تساهم في احداث التخلف كالقابلية للاستعمار انخفاض عنصر الفاعلية ،والميل الى التكديس وهذا ما وضحه بن نبي، إذ يرى أن هذه الامراض الاجتماعية والنفسية قد اصابت الانسان في البلاد العربية وأفسدت تفكيره نحو التخطيط للنهضة .

المبحث الاول :أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي .

القابلية للاستعمار :

القابلية للاستعمار المقصود بها هي الهزيمة النفسية التي يصاب بها الفرد المستعمر ليصبح قابل للاستعمار وهو عامل داخلي نفسي «نريد ان نتعرف على معامل آخر ينبعث من باطن الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصيغة والسير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار » [1] .

إن هدف الاستعمار هو مهاجمة شبكة العلاقات الاجتماعية ويطبق في كل مخططاته حكمة فرق تسد ،إن مالك بن نبي يرى بأن الاستعمار يستخدم مختلف الوسائل للقضاء على عدوه ووسائله في أغلب الاحيان تكون خفية و غير واضحة كما شبه المستعمر بالقوارض ، فالمستعمر قتل مليون ونصف المليون جزائري أي انه قضى على جانب كبير من الطاقة الحيوية في بلادنا «ننظر حولنا نرى هؤلاء القوارض يعملون في بلانا ... نستطيع بكل أسف وبتأثير أوضاعنا العقلية أن نفهم عمل الاستعمار إلا ريثمايثير ضجيجا كضجيج الدبابة ،المدافع والطائرة » [2] .

إن شبكة العلاقات الاجتماعية في هذه المرحلة من الصراع ستواجه خطرا دقيقا أشبه بفيروس يخرب خلايا الجسم، هذا الخطر يطلق عليه ابن نبي تسمية القوارض التي تهاجم شبكة العلاقات في بلد معين وتقوم بتمزيقها وتشتيت طاقتها وفرض حكمها على الدولة والسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا .

وبالتالي يؤدي هذا الوضع الى ضعف المجتمع و انهياره،كما ان القابلية للاستعمار تؤدي الى جمود العقول المفكرة فيصبح الانسان تلقائيا فردا غير فعال لان المستعمر يقضي على مختلف مهاراته و استعداداته من خلال غرس الافكار الساذجة في ذهنيته كما يؤثر على نفسيته و يصبح يتقبل كل ما يفرضه المستعمر عليه و بذلك يدخل في دائرة التخلف الفكري.

1-مالك بن نبي : شروط النهضة ، مصدر سابق ،ص ص 152-153.

2-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ، مصدر سابق ،ص 81.

إن من أهداف الاستعمار هي إقامة منشآت استعمارية تدوم إلى الأبد وتتوسع حتى تقضي على المسلمين كما أن هدف الأساسي للمستعمر هو تجزئة المسلمين أرضا وأمة وفكرا وتشويه صورتهم، القابلية للاستعمار من أشهر المفاهيم التي أطلقها مالك بن نبي وهذا المفهوم غالبا يعني التخلف الحضاري وقبول الاستعمار من طرف العدو ،وهذا المفهوم يعكس طريقة قبول الاستعمار للهزيمة بعدم محاربة العدو والتعرف على وسائله المستخدمة في الحرب ، إن ظاهرة الاستعمار نتيجة منطقية لظاهرة القابلية للاستعمار بحيث أن الأفراد يعجزون عن رد العدوان وبذلك يجد المستعمر الشعوب الضعيفة لقمة سائغة يسهل عليه التهامها «فالاستعمار يتصف بالمكر والخداع والشراسة أما القابلية للاستعمار تتصف بالدناءة والخبث والخيانة » [1] ،والقابلية للاستعمار هو عدم استغلال الوسائل و الإمكانات المتاحة استغلال كفؤ «فكون المسلم غير حائز على جميع الوسائل التي يريده لتنمية شخصية وتحقيق مواهبه ذلك هو الاستعمار وإما ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخداما مؤثرا وفي بذل أقصى جهد يرفع من مستوى حياته حتى بالوسائل العارضة , وإما ألا يستخدم وقته في هذا السبيل فيستسلم على العكس لخطة إفقاره وتحويله مهملا يكفل نجاح الفنية الاستعمارية فتلك هي القابلية للاستعمار » [2] .

إحدى مظاهر القابلية للاستعمار التي يشير إليها مالك بن نبي عدم وضع الكفاءات البشرية المعدة إعدادا علميا وتقنيا رفيعا في مكانها الملائم مما أدى إلى ظاهرة هجرة الأدمغة نحو الخارج وبذبك قام مالك بدراسة الاستعمار ، وقام بتقسيمه إلى قسمين الأول هو القابلية للاستعمار ، والثاني هو المعامل الاستعماري ويقصد به ما يفرضه الاستعمار على حياة الفرد من عامل سلبي يسميه المعامل الاستعماري المقصود به وجود الاستعمار خارج النفس البشرية كواقع ظاهرة يعمل على تحطيم الفرد المستعمر فهو تهديم لجوهر الفرد المستعمر ومحو كل مظاهر الإبداع فيه ، وإنقاص من قيمته الإيجابية وطاقته الحيوية .

1- مالك بن نبي :بين الرشاد والتيه ،(دار الفكر ،ط2 ،دمشق 1998)، ص174.

2-مالك بن نبي :وجهة العالم الإسلامي، مصدر سابق ،ص 34.

مرض السهولة :

لقد تكلم مالك بن نبي في مؤلفاته عن الأمراض التي تصيب المجتمع ،فتؤدي به إلى التخلف ومن بين هذه الأمراض «يجعل المسلم في تقويمه للأشياء وإما أن يغلو فيها أو يحيط من قيمتها وأهم مثال على مرض السهولة قضية فلسطين فقد قيل أن إخراج اليهود من فلسطين سيتم خلال أشهر ولو نفخنا عليهم نفخة واحدة لطاروا ولكن في الحقيقة لم يطيروا »[1] . هذا المرض حسب مالك يؤدي إلى تراجع المجتمع ، وبالتالي المجتمع يفقد القدرة التي تمكنه من صنع حضارة خاصة به ، كما أن شبكة العلاقات الاجتماعية إذا أصيب بهذا المرض فإنها تقود المجتمع إلى الهلاك وبالتالي تؤدي إلى غياب النشاط المشترك الذي يؤدي بدوره إلى تمزق شبكة العلاقات الاجتماعية «فالعلاقات الاجتماعية تكون فاسدة عندما تصاب هذه الذوات بالتضخم فيصبح العمل الجماعي صعبا أو مستحيلا» [2] ، كما أن غياب الأخلاق يجعل المجتمع غير متناسق وغير منسجم وتكثر فيه المشكلات الاجتماعية ، مثل تفشي ظاهرة الفساد الخلقي وهذا المشكل حذر منه مالك بن نبي ،إذ يرى أن الفساد الخلقي يؤدي إلى فساد المجتمع وبالتالي يؤدي هذا إلى ظهور العديد من المشاكل الاجتماعية كالسرقة والشغب والإجرام «فكلما حدث إخلال بالقانون الخلقي في مجتمع معين حدث تمزق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصبح تاريخه»[3] ،وبذلك تشكل الأخلاق ركن أساسي في بناء المجتمع وتساهم بشكل فعال في جعل الفرد يتمتع بشخصية قوية .

1-محمد العبدة : مرجع سابق، ص 88،

2-مالك بن نبي :ميلا مجتمع ، مصدر سابق ،ص43.

3- االمصدر نفسه،ص53.

انخفاض الفعالية والميل إلى التكديس :

إن انخفاض الفاعلية يؤدي إلى القابلية للاستعمار التي تضمن استغلال الإمكانيات المتاحة بكفاءة عالية وهذا يصب في انخفاض الكفاءة الإنتاجية للإنسان فانخفاض الفاعلية يؤدي إلى معدلات التراكم الرأسمالي والى تبديد الطاقات الإنتاجية والتبذير المسرف كما أن المجتمعات المتقدمة اليوم تعرف من خلال الفاعلية أفرادها وهذا ما يتجسد في قول مالك «حتى أن التقدم أو التأخر الحضاري يمكن أن يلاحظه الإنسان من خلال ملاحظة عامل الفاعلية أبي انه بوسعنا ان ندرس حضارة ما بملاحظة الطريقة التي يتبعها الإنسان من خلال ملاحظة الطريقة التي يتبعها الإنسان لتفاعل مع بيئته »[1] .

يرى مالك أن غياب الفعالية في المجتمع الإسلامي يرجع إلى كون العالم الإسلامي لم يختر حتى الآن النموذج الذي يعطيه تحديدا لمنهجه حيث بقيت النهضة تنمو تحت تأثير نموذج غامض فرض عليها تلقائيا وهو النموذج الغربي الذي يعذ تكديس لمنتجات الحضارة الغربية أن مالك يرى بان الفاعلية غائبة لدى الفرد العربي لذا فهو يعاني التخلف « أننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافعالية في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منا في العبث والمحاولات الهازلة ، وذا أردنا حصرا لهذه القضية نرى سببها الأصلي في افتقادنا الضابط الذي يربط بين سياسة ووسائلها بين فكرة وتحقيقها فسياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لأتعرف مثلها العليا ، أن المسلم لا يخس الاستفادة من الوقت ولا مما ليده من العلم ولا مما ليده من المال فهو لايفكر يعمل بل ليقول كلاما مجردا هو بغض الأفكار المنطقية التي يمكن أن تتحول إلى عمل ونشاط »[2]

وهنا يتطرق مالك إلى فكرة توجيه العمل فالعمل ينقل المجتمع من حالة الركود والعبث إلى حالة الإنتاج كما أن المنطق العملي يرتبط أيضا برأس المال الذي يخلق الحركة ويوظف العقول ويحول الثروة إلى رأس المال فهو عمل يسعى إلى تحقيق النهضة أن اكبر ظاهرة تهدد المسلم ما بعد الحضارة الشيئية أي أن

1- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة المصدر السابق ،ص 61 .

2- مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ، تر :عمر مسقاوي ،(دار الفكر ، ط3 ،دمشق،، 1987)، ص 34 .

المسلم صار منبهر بأشياء ومنتجات الغرب فالأشياء هنا تستعيد سلطتها على العقول اذ غالبا ما تكون تافهة براقة يصبح شرائها من الخارج امر لابد منه لأنها استولت على العقول فهذه إشارة من طرف مالك إلى خطورة انتشار المنطق الاستهلاكي لسلع الغرب دون معرفة طريقة صنعها فالإنسان في العالم الإسلامي بدا يتجه إلى جمع لأكوان المنتجات الحضارية أكثر من اتجاهه إلى بناء حضارة وهو ما يسمى بالتكديس

ومن خلال التكديس قد ينتهي بنا الأمر إلى ما اسماه مالك بن نبي بالحضارة الشيئية أي أن «التكديس لا يعني البناء لان البناء وحده هو الذي يأتي للحضارة التي تتكون منتجاتها وليس المنتجات التي تكون الحضارة »[1].

ان داء التكديس مرض نفسي يسيطر على الإنسان العاجز الذي يعتقد أن المخرج من الأزمة تكمن في بنقص الأشياء لذا يلجا إلى تكديس الأشياء والتكديس ظاهرة موجودة في العالم الإسلامي فكم من شركة تحضر لورشاتها أجهزة حديثة الصنع لكن بدل استخدامها واستغلالها في الاستثمار نجدها مخبئة في المخازن ومتوقفة عن العمل وهذا التكديس سلوك مرضي يزيد في عمق التخلف ويؤدي إلى تدهور المجتمع يرى مالك « إن القضية ليست قضية أدوات ولا إمكانيات أن القضية في أنفسنا إن علينا أن ندرس أولا الإنسان فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن ، سكن المجتمع والتاريخ ذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ فنرى المجتمع حينا يزخر بوجود النشاط أحيانا نراه ساكنا لا يتحرك يسوده الكساد وتغمره الظلمات »[2]، ان مالك يدعوا المسلم المعاصر إلى الاعتماد على نفسه بدل لجوئه إلى الغرب والاستيراد منهم فالحضارة بناء وليست لتكديس لذلك على الفرد المسلم أن يتجه صوب بناء الحضارة من خلال بناء شبكة العلاقات الاجتماعية والتحلي بالانضباط والفعالية

ومن أسباب التراجع الحضاري التي تحدث عنها مالك بن نبي في مؤلفاته نجد تراجع الفكري الذي أدى إلى الانقطاع التاريخي للحضارة العربية وعدم سيرها في طريق التطور العلمي خصوصا أن الاستعمار خلف انغلاق الناجم عن الاستبداد وكرس المفاهيم الاجتماعية القبلية المتخلفة ثانيا وجود الاستبداد

1- مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق،ص48.

2-مالك بن نبي:تأملات،مصدر سابق،ص125.

السياسي الذي يؤدي الى الجهل والفساد الأخلاق وانحراف رجال الدين عن القواعد الدينية وهذا يعبر عن الواقع الحالي للوطن العربي ومن أسباب التخلف التي طرحها مالك استهداف الاستعمار الغربي للإسلام وذلك لإدراكهم أهمية الإسلام ودوره ترسيخ المثل الأخلاقية النابعة من المبادئ الإسلامية فنجد الغرب متخوفون من سيطرة مبادئ القران الكريم على شعوب العالم الإسلامي فإتباع معالم العقيدة الإسلامية يمكن المسلم من صنع حضارة خاصة به خالية من كل تفسخ أخلاقي وبناء مجتمع متين وشبكة من العلاقات الاجتماعية القوية وبالتالي بناء حضارة مزدهرة في كل المجالات

المبحث الثاني : مضاهر التخلف في فكر مالك بن نبي .

تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية :

إن شبكة العلاقات الاجتماعية المتماسكة ،قائمة على روابط اجتماعية قوية كالتعاون والعمل الجماعي المشترك هي التي تضمن بقاء المجتمع وهي التي تحافظ على الطاقة الحيوية للأفراد وهذه الأمور لا تخفى عن الاستعمار لأنه إذا أراد غزوا بلد ما في انه يستهدف نقاط القوة وشبكة العلاقات الاجتماعية تمثل الكيان الاجتماعي للفرد وبذلك فتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية يؤدي بضرورة إلى تحلل المجتمع وانهياره «فنحن ندرك جيدا النشاط الاستعماري عندما يكون مرئيا واضحا كأنه لعبة أطفال ولكن لا ندك مجال هذا النشاط ولا وسائله منذ اللحظة التي يصبح فيها دقيقا ... كالعبة شيطان» [1] ، فنحن نجهل الوسائل الخفية التي قد يستخدمها الاستعمار في محاولة استعمار بلد فهو يلجا إلى استعمال المراوغة لتحقيق أهدافه نحن ندك مثلا الوسائل التي استخدمها في الثورة الجزائرية فهم استعملوا وسائل حديثة كالطائرة والدبابة والقنابل المتطورة أما الفرد الجزائري فستخدم وسائل تقليدية كالبندقية اليدوية التي تستخدم في الصيد ، إن مالك بن نبي عاش مرارة الاستعمار تتعرض لمواقف مكتئبة من معرفة خفايا الاستعمار لذلك شبهه بالشيطان .

إن مالك يرى بان تمزق في شبكة العلاقات الاجتماعية يؤدي بالضرورة إلى انهيار المجتمع وبالتالي غياب النشاط المشترك « عندما يرتجي التوتر في خيوط الشبكة وتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة فذلك إمارة على أن المجتمع مريض وماضي إلى نهايته أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك إيذان بهلاك المجتمع وحين إذن ولا يبقى منه غير ذكرى مدفونة في كتب التاريخ »[2]، فتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية هو أول مظاهر التخلف لذلك على الفرد أن يدرك أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية ويسعى إلى المحافظة على مجتمعه من خلال الدفاع عن علاقاته وهذا ما جاء به الإسلام فالإسلام حث على المحافظة على الصلات الاجتماعية والتعاون الجماعي إذ أكد أن المسلم لأخيه

1- مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ،المصدر السابق ، ص 83.

2- المصدر نفسه،ص42.

المسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعض ويتجلى هذا التعاون في قوله تعالى ﴿وتَعَاوَنُوا عَلى البِرِ والتَقْوى ولا تَعَاونُوا عَلى الإِثْمِ وَالعُدْوَانْ ﴾[1].

« وجميع القوانين التي أملتها السماء أو وضعتها لمحاولات البشر هي في حقيقة إجراءات دفاعية لحماية شبكة العلاقات الاجتماعية وبدونها لا نستطيع الحياة الإنسانية أن تستمر لا أخلاقيا ولا ماديا»[2]،ولذلك يجب بناء شبكة العلاقات الاجتماعية على روابط قوية تمكنها من تجاوز التخلف والتطلع نحو التجديد من اجل بناء حضارة في المجتمع الإسلامي كما أن شبكة العلاقات الاجتماعية ضرورية في أداء العمل المشترك كما انه من اجل وصول إلى مرحلة التحضر يجب ان تتوفر في المجتمع شبكة من العلاقات الاجتماعية النامية .

1-القرآن الكريم:سورة المائدة،الآية02.

2--مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ،المصدر السابق ص 94 .

طغيان علم الأفكار:

لقد أخذت قضية الأفكار في فكر مالك بن نبي حيزا من الدراسة لان الأفكار هي مقياس التخلف أو التقدم لأي مجتمع «إن أهمية الأفكار في حياة المجتمع في صورتين فهي أما إن تؤثر بوقفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممرضة تجعل النمو الاجتماعي صعبا او مستحيلا وذلك لان أي نشاط يقوم به الفرد هو ترجمة لمجموعة من الأفكار والتصورات التي تسبق الفعل فإذا كانت الأفكار التي يعملها المجتمع أصيلة فعالة فإنها تدفع بحركته تاريخية لنحو التطور أما إذا كانت أفكار من النوع الميت فإنها تعيق نمو المجتمع »[1]،لذلك نجد أن مالك بن نبي قد قسم الأفكار إلى قسمين : الافكار الميتة والأفكار القاتلة ، الافكار الميتة هي الافكار التي خذلت اصولها ولم يعد لها جذور في محيط ثقافتها الاصلي كما ان هذه الافكار تجذب الانسان الى الوضع الحضاري المنحط ،أما الافكار القاتلة في الافكار التي فقدت قيمتها الثقافية بعد ان فقدت جذورها والتي ضلت في مكانها في عالمها الثقافي الاصلي كما ان هذه الافكار القاتلة هي نفسها التي يستوردها الانسان لنفسه و تحدث تأثيرا و تغيرا في المجتمع « ولا شك أن هذه الأفكار ...ولطالما انه لم يتم القضاء عليها بنظام منهجيا فإنها تصبح كالفيروس الوراثي الذي ينسف الكيان الإسلامي من أساسه بتخذير حوافزه الدفاعية وينبغي اكتشاف موطن الظاهرة المرضية في الثقافة الحديثة للعالم الإسلامي وإلا فإن الأفكار الميتة ستواصل عملها التخريبي في مجال الاجتماعي والسياسي »[2].

يرى مالك بن نبي انم التخلف الذي يعاني منه المجتمع الإسلامي يعود إلى اقتباس الأفكار القاتلة من الحضارة الغربية كما انه يتحسر عن حالة المجتمع الإسلامي في كونه لم يرقى بعد إلى مستوى التحضر ويضرب مثالا عن اليابان في كونها القوة الاقتصادية الثالثة في العالم فهي لم تتأثر بالأفكار الميتة في العالم الأفكار المميتة في الغرب لم تصرفها عن هدفها نحو التقدم وبقيت وفية لثقافتها وتقاليدها بعكس المجتمع الإسلامي الذي وقع في متاهة التخلف نتيجة التقليد الأعمى يقول مالك «هناك مقارنة لإقناع لقد بدأت انطلاقة الحديثة للمجتمع الإسلامي مع انطلاقة اليابان عام 1860م حيث بدأ المجتمعان يتلمذان على الحضارة الغربية وأصبحت اليابان اليوم ثالث قوة اقتصادية في العالم ولم تجعلها الأفكار

1- محمد العاطف : معوقات النهضة وطرق علاجها في فكر مالك بن نبي،مرجع سابق،ص14.

2- مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ،المصدر السابق ، ص 63.

القاتلة الموجودة في حضارة الغرب تزيغ عن طريقها وإنما بقيت وفية لثقافتها وتقاليدها بينما المجتمع المسلم اليوم بالرغم من جهود المشكورة وبعد مضى قرن من الزمان لا يزال مجتمعا ناميا أي متخلفا ... فالطالب المسلم الذي يذهب إلى مدرسة الغرب لا يتوغل في منابع الحضارة الغربية وإنما يتوقف عند صندوق القمامة حيث لا وجود للحياة »[1]،ومن هنا يظهر بأن الأفكار الغير صحيحة تؤدي بالمجتمع للانهيار وتزرع الفوضى في العالم كما ان محاولة النهوض بالحضارة يكون في غاية الصعوبة خصوصا عندما يكون المجتمع في حالة تخلف وقد يصل الأمر إلى طغيان الأفكار لان الفرد المسلم عندما لايستطيع القيام بأعمال ناجحة ومفيدة يلجا إلى الأفكار التي لا تمت بصلة للواقع .

1- مالك بن نبي تبسيط مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ، المصدر نفسه ، ص 65.

طغيان عالم الأشياء :

إن المجتمع عندما يكون في مرحلة النهوض الحضاري فإنه يحقق التوازن بين الأشخاص والأشياء والأفكار وفي حالة التخلف نجد الفرد يسعى وراء تكديس والاستهلاك بطريقة غير عقلانية «وحينها يخضع المجتمع لطغيان الأشياء فإن جميع الحلول والمخططات التي تعدها هيئات السياسية تنزع جميعها إلى الكمية مثل الزيادة في الضريبة أو جلب رؤوس أموال أجنبية وهذه النتائج في المجتمع الإسلامي تأخذ أحيانا أشكال تدعوا للسخرية حينما يحل الشيء محل الفكرة »[1].

يرى مالك أن القيمة الكمية للأشياء تتغلب عن الفكرة كما يراها في نفسية الطفل الذي يتعلق بالأشياء فالطفل لا يرى الأفكار إنما يرى الأشياء « فكومة من قطع الحلوى أثمن لديه من كومة الجواهر»[2]،وهذا القول يعكس وجهة نظر مالك بن نبي حيث أن الأفراد في المجتمع الإسلامي تؤثر عليهم فكرة اقتناء الأشياء أكثر من الحصول على الأفكار وبالتالي فالفكرة لا تلعب دورها في العالم الإسلامي ونحن نفتقد إلى التي تساهم في النهوض الحضاري فطغيان الأشياء في عالمنا الإسلامي هو مصدر تخلفنا لان الشيء اخذ مكان الفكرة ، فمثلا تؤثرنا بمنتوجات الغرب إذ اننا نقوم بشراء الكثير من منتوجاتهم و لا نستخدمها فيما يوفيدنا ،فمثلا استراد مجموعة من الآلات لإحدى الورشات المصنع دون ان نستخدمها في عملية الانتاج استخدمنا غيرها وهنا يحدث تكديس للاشياء وهذا بدوره يودي الى تخلف المجتمع ،لذلك يرى مالك أنه « ماكان لحضارة أن تقوم إلا على أساس من التعادل بين الكم والكيف بين الروح والمادة ،بين الغاية والسبب، فأينما إختل هذا التعادل في جانب أو في آخر كانت السقطة رهيبة »[3]

1- محمد عاطف : معوقات النهضة وطرق علاجها ،المرجع السابق ،ص 19.

2-المصدر نفسه ص 19 .

3-مالك بن نبي :شروط النهضة ،مصدر سابق ،ص130

المبحث الثالث : مقومات النهوض الحضاري عند مالك بن نبي .

عوامل تشكيل الحضارة :

صاغ مالك بن نبي العوامل التي تشكل الحضارة في معادلته المشهورة (الإنسان + تراب + وقت) وهذه المعادلة لا تحقق مفعولها إلا إذا ارتبطت بالدين أو كما عبر عنه مالك بالفكرة الدينية , فالحضارة هي « مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يتقدم لكل فرد من أفراده فكل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة , المساعدة الضرورية له وفي هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه »[1]

يرى مالك إن الإنسان هو الشرط الأساسي للحضارة أي عندما يتحرك الإنسان يتحرك التاريخ وإذا سكن الإنسان سكن التاريخ لذلك فالإنسان بفعاليته يضع الحضارة وهذا ما غاب عن المجتمع الإسلامي في كونه يعاني الركود نتيجة تخلي المسلمون عن التزاماتهم الأخلاقية في أداء أعمالهم لذالك يرى مالك بضرورة مواجهة المشكلات التي يعاني منها المجتمع كالقضاء على مرض السهولة والميل إلى التكديس ، كما أن التقليد الأعمى للغرب لا يضع الحضارة بل يؤدي إلى زرع الجمود في العقول لذلك يجب العودة إلى تعاليم الإسلام فهو القادر على إعادة المسلمين إلى عالم الحضارة كما في عهدها الأول اي عصر الرسول (ص)

التراب :

إن التراب هو احد العناصر الثلاثة التي تكون الحضارة ومالك عندما يتكلم عن التراب فإنه لم يبحث في خصائصه وطبيعته ولكنه تكلم عنه من حيث قيمته الاجتماعية , فالتراب يكون ذا قيمة عالية عندما يصل المجتمع أو الأمة إلى ذروة التقدم فإن قيمة التراب تكون بقدر قيمة التقدم وإذا كان المجتمع في مستوى الانحطاط كان التراب هو الآخر بلا قيمةيقول مالك بن نبي « ونستطيع أن نقول أن تراب في الأرض الإسلام عموما على شيء من الانحطاط يتسبب تأخر القوم الذين يعيشون عليه »[2]،

1-مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، مصدر السابق ، ص 43.

2- مالك بن نبي : شروط النهضة ، مصدر السابق ، ص 131.

وفي هذا يضرب مالك مثلا عن الجزائر في كونها ارض قاحلة تفتقد لمن يخدمها والسبب في ذلك يعود إلى أن الإنسان الجزائري غير فعال لذلك يرى مالك لضرورة توجيه الإنسان نحو العمل وفي هذا يقول مالك « بالرغم من بدئية وسائلنا علينا أن نعمل فالعمل لازم لزوم دراسة طبيعة في الأرض والمناخ فإننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق »[1] فمستقبل الأجيال القادمة مرهون بمدى فعاليتنا في بناء المجتمع وتعميره.

الوقت :

يرى مالك انه من واجبنا إن نستغل الوقت بما يخدم المجتمع وان لا نضيع الوقت وإنما نستغله في الإنتاج فمن المؤسف أن نرى شبابنا في العالم الإسلامي لا يعيرون للوقت أهمية ويضيعون ساعات وساعات في العبث واللهو «وتحديد معنى الزمن يتحدد بمعنى الإنتاج وهو معنى الحياة الحاضرة التي تنقصنا »[2] ،فكيف لمجتمع كالمجتمع الإسلامي أن يبني حضارة بدون إعطاء أي قيمة للوقت , فالحضارة تتأسس من خلال الفعالية وتنظيم الوقت والانضباط في العمل هذه هي العوامل أو الشروط التي يرى مالك تفعيلها يؤدي حتما إلى صنع الحضارة ،ان الوقت يمثل الزمن الذي تسير في نطاقه الاحداث و يتحرك من خلاله المجتمع من أجل تشيد الحضارة و التربية هي الوسيلة التي تغرس في ذات الفرد قيمة الاهتمام بالوقت ،وإدراك اهميته كما يتعلم الفرد كيف يستعمل الوقت فيما يخدم الحياة وما يخدم المجتمع، « إذا استغل الوقت فلم يضع سدا ولم يمر كسولا في حقلين فسترتفع كمية حصدنا العقلي واليدوي ،والروحي وهذي هي الحضارة »[3]

ومن هذا الكلام يرى مالك أن الوقت عنصر في غاية الاهمية لذلك يجب ان نسخر طاقاتنا في بناء الحضارة ولايتم ذلك إلا من خلال إستغلال الوقت بما هو مفيد أي بما يخدم المجتمع.

1-مالك بن نبي:شروط النهضة،مصدر سابق، ص135.

2- المصدر نفسه،ص140.

3- المصدر نفسه ،ص214.

تحقيق الفعالية في المجتمع :

لقد اشرنا في المبحث الأول إن من المشاكل التي يعاني منها المجتمع الإسلامي انخفاض الفعالية والميل إلى تكديس بالإضافة إلى اهتمام بالترهات دون الاهتمام ببناء المجتمع «فنحن لا نعاني اللافعالية فحسب ولكننا نخترع شيئا من (ترهة) معينة باستبقائها ونحن عندما نتفحص عن كثب حياتنا الاجتماعية نجد فيها مالا يستهان به من الترهات من هذا القبل بغية تبرير لانفعاليتنا »[1]يرى مالك إننا لا نهتم لما يفيدنا إنما نلجأ إلى العبث في تصرفاتنا «فحينما نعالج مشكلة النظافة في الشوارع مثلا فإننا نرجعها إلى إهمال المواطنين وتهاونهم غير أنني بصفتي مسؤول أعالج هذه المشكلة بزيادة عدد السلال (سلال المهملات) في الشوارع فقط فإن السلال الزائدة إذا كانت تصلح لمجتمع معين فإنها في مجتمع كالمجتمع العربي مثلا أرى بعد خبرة دامت ثلاثين عاما إن هذا الحل النظري فهو تكديس لعدد آخر من سلال المهملات ودليلي على ذلك أنني شاهدت كثير من شوارعنا عدد كبير من سلال المهملات ولكنها شبه فارغة ومن حولها الأرض ملأ بالمهملات »[2].

اذن لكي يتحقق التغيير في محيطنا يجب أن يتحقق أولا في أنفسنا ولذلك يرى مالك بن نبي انه لكي يتحقق التغير فعلا يجب أن تتوفر هذه الشروط :

- أن يعرف نفسه
- أن يعرف الآخرين وان لا يتعالى عليهم
- أن يعرف الآخرين بنفسه

إذن يجب على المسلم أن يعرف نفسه من دون مغالطو وان يعرف نفوس الآخرين من دون كبرياء وتعالي وقد جاء الإسلام مجسدا ذلك في تعليم القران الكريم وبذلك قوله تعالى ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[3].

1- مالك بن نبي : فكرة كمونويلث إسلامي ،مصدر سابق ،ص 62.
2- مالك بن نبي : تأملات ، مصدر سابق ،ص 122.
3-القرآن الكريم:سورة الرعد،الآية11.

فالتغير يجب أن يبدأ من نفس الإنسان ليتم في المجتمع «والمسلم الذي يحمل القرآن يجب أن يستفيد منه للتخطيط للنهوض وان التوازن الذي صاغ به القران شخصية المسلم من اكبر الأسباب التي تساعده على الفعالية كما أن الشريعة تحمله على توسط التشدد والتساهل »[1].

وبذلك فالشريعة الإسلامية لهذه الميزة (الوسطية) توصل الإنسان إلى تحقيق النهضة , وبالعمل يحقق الإنسان كرامته فهو في جوهره يعمل فعالية الإنسانية , ويتخرج الإنسان من دائرته الضيقة كفرد ليتصل بغيه من أفراد مجتمعه فالعمل يعبر عن فعالية الفرد لأنه من خلال العمل يستطيع أن ينمي مواهبه وقدراته« القضية إذن ليست قضية أدوات ولا أمكانيا أن القضية كانت في أنفسنا أن علينا أن ندرس أولا الجهاز الاجتماعي الأول هو الإنسان وليست السلال وغيرها فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن ،سكن المجتمع والتاريخ »[2] .

إن المسلم يجب أن يحدث التغير في كيانه ونفسه «وصدق علي بن أبي طالب حيث قال : من نصب لنفسه للناس إماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه ومعلم نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم »[3].

وفي مجمل القول إن الشريعة الإسلامية ترفض كل الرفض أن يوجد في المجتمع أفراد قادرون عن العمل والإنتاج ثم تتعطل طاقتهم فقد ابغض الإسلام كل فرد يقوم بتعطيل طاقاته ومواهبه وقدراته فيما يخدم المجتمع .

1-محمد العبدة : مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي ، مرجع سابق ، ص 96.

2-مالك بن نبي : تأملات ، مصدر سابق ، ص 122.

3- فتحي يكن : الشباب والتغير ، (الزيتونة للإعلام والنشر ، ط1 ،باتنة ،1979) ،ص 54.

بناء الإنسان الجديد الغير قابل للاستعمار :

الإنسان هو خليفة الله في الأرض وهو مخلوقه المكرم الذي أمر الملائكة فسجت لهم فسخر له الأرض ليبني ويعمر ، لكن المشكلة التي يعاني منها المجتمع الإسلامي هي عدم اهتمام الفرد المسلم بعملية البناء نتيجة انغماسه في إشباع رغباته الحسية وبعيد كل البعد عن التربية الأخلاقية والدنية التي نشأ عليها وبغياب فعالية الفرد في المجتمع وبإنهيار الروابط الأسرية صرنا نمهد الطرق لإطماع الخارجية وصارت لدينا بكل سهولة القابلية للاستعمار وبهذا الخصوص يرى مالك بن نبي انه يجب أن نتخلص من تبعيتنا للغرب ونتخلص أيضا من الكسل والخمول الذي شل عقولنا ونتيجة نحو بناء نهضة ويجب أن نتبع التوجيه كخطوة أولى لنحو التقدم « فالتوجيه هو يتجنب هذا الإسراف في الجهد وفي نفس الوقت هناك ملايين السواعد العاملة والعقول المذكرة في البلاد الإسلامية صالحة لان تستخدم في كل وقت والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل المكون من ملايين السواعد والعقول في أحسن ظروفه الزمنية والإنتاجية الناسبة لكل عضو من أعضائه »[1]، يرى انه يجب تحريك الطاقة الحيوية في نفوس الأفراد من اجل القيام بنهضة وهذه النهضة بحاجة إلى الإنسان الجديد «يجب أن يصنع رجالا يعيشون في التاريخ مستخدمين التراب والوقت والمواهب في بناء أهدافهم الكبرى »[2] ،لذلك يجب العودة الى المبادئ والقيم الإسلامية وعداد أرضية صلبة من الأخلاق والدين كما يجب إتباع المنهج القرآني والسنة النبوية من اجل القضاء على كل الأمراض النفسية كالاضطراب والقلق , فالإسلام هو دين الفطرة والالتزام به يشفي النفس من خلاله يستطيع الافراد تكوين شبكة قوية من العلاقات الاجتماعية التي تخدم المجتمع .

1- مالك بن نبي : شروط النهضة ، المصدر السابق ، ص 78.

2-المصدر نفسه ،ص 75.

خلاصة:

من اهم مضاهر الانحطاط والتخلف عندنا نجد أللافعالية في أعمالنا ،والخلل في شبكة العلاقات الاجتماعية و طغيان عالم الاشياء بالاضافة الى عالم الافكار والقابلية للاستعمار أي القصور في الانتاج الاقتصادي والميل الى الاستراد دون بذل جهد عقلي يذكر ، والانسان هو الجوهر الذي لا يتحرك لذلك يرى مالك بضرورة إعادة الانسان الى دوره التاريخي المتمثل في إقامة نهضة اقتصادية و ذلك عن طريق التركيب بين عنصر الانسان والتراب وعنصر الزمن بالإضافة الى العنصر الديني او الفكرة الدينية كتركيب بين هذه العناصر و بذلك يجب اعادة النهضة الاقتصادية من خلال إعادة تجديد المجتمع وذلك من خلال القضاء على نقاط الضعف في المجتمع ودلك من خلال تحويل الانسان من طاقة كامنة الى طاقة متحركة إذ يجب تكوين الانسان حتى يكون منتجا ليساهم في تحقيق النمو الاجتماعي .

الفصل الأول : مالك بن نبي ونظريته في التربية

المبحث الأول : مالك بن نبي وتكوينه الفكري

- حياة مالك بن نبي
- العوامل المؤثرة في فكر مالك بن نبي
- التعريف بمؤلفات مالك

المبحث الثاني : في مفهوم التربية

- تعريف التربية لغة واصطلاحا
- مفهوم التربية عند الغزالي
- مفهوم التربية عند جون ديوي
- أهمية التربية

المبحث الثالث : معالم الفكر التربوي عند مالك بن نبي

- مفهوم التربية عند مالك بن نبي
- أهداف التربية عند مالك بن نبي
- أبعاد التربية عند مالك بن نبي

الفصل الثالث : معيقات التنمية في فكر مالك بن نبي

المبحث الأول : أسباب التخلف في فكر مالك بن نبي

- القابلية للاستعمار
- مرض السهولة
- انخفاض الفاعلية والميل إلى التكديس

المبحث الثاني : مظاهر التخلف في فكر مالك

- تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية
- طغيان عالم الأفكار

طغيان عالم الأشياء

المبحث الثالث :مقومات النهوض الحضاري عند مالك بن نبي

- عوامل تشكيل الحضارة عند مالك بن نبي
- تحقيق الفاعلية في المجتمع
- بناء الإنسان الجديد غير القابل للاستعمار

الفصل الثاني : معالم الهيكلة الاجتماعية في الفكر التربوي عند مالك بن نبي

المبحث الأول : التربية الاجتماعية عند مالك بن نبي

- مفهوم التربية الاجتماعية
- موضوع التربية الاجتماعية
- الشروط الأولية للتربية الاجتماعية

المبحث الثاني : اسس التربية الاجتماعية

- بناء شبكة العلاقات الاجتماعية
- عالم الأفكار ودوره في تفعيل الطاقة الحيوية
- تأثير عالم الأشياء على شبكة العلاقات الاجتماعية

المبحث الثالث: دور التربية الاجتماعية في تعزيز علاقات أفراد المجتمع

- دور الدين في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية
- الأخلاق ودورها في بناء شبكة العلاقات الاجتماعية
- التربية الاجتماعية ودورها في نشر ثقافة التعايش

أولا :المصادر

***القرآن الكريم**

1 . مالك بن نبي:تأملات،دار الفكر،ط1ندمشق،1979، 155.

2.مالك بن نبي:مذكرات شاهد القرن،دار الفكر،ط2،دمشق،1984 .

،د ط)،دمشق،1978 .

3.مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد ، تر :عمر مسقاوي ،دار الفكر ، ط3 ، 1987

4 . مالك بن نبي : تبسيط مشكلة الافكار في العالم الإسلامي، ترجمة محمد عبد العظيم علي، دار الدعوة، ط1، الاسكندرية، 1997م .

5 .مالك بن نبي : شروط النهضة تر:عبد الصابور شاهيين،دار الفكر،دمشق،1960.

6.مالك بن نبي :بين الرشاد والتيه ،دار الفكر ،ط2 ،دمشق 1998

7 . مالك بن نبي:دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين،دار الفكر

8.مالك بن نبي:مشكلة الثقافة،تر:عبد الصابور شاهين،دار الفكر،ط1،دمشق،2000 .

9.مالك بن نبي:ميلاد مجتمع،تر:عبد الصابور شاهين،دار الفكر،ط3،القاهرة،1986

10.مالك بن نبي:وجهة العالم الاسلامي،تر:عبد الصبور شاهين ،دار الفكر،ط1،دمشق،1986 .

11. مالك بن نبي، آفاق جزائرية: ترجمة الطيب شريف/ مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، د ط ، 1964م .

ثانيا :المراجع:

1. أبوحامدالغزالي :احياء علوم الدين،ج3 ،دارالصابوني،ط1،د س،البشائر،ط2،بيروت،ص128.
2. أبو حامد الغزالي:أيها الولد،تحقيق علي محي الدين،دار البشائر،ط2،بيروت
3. أحمد بناسي:مدخل الى فكر مالك بن نبي،دار بن مرابط،ط1،الجزائر،2014 .
4. احمد فؤاد اهواني نوابغ الفكر العربي جون ديوي ، ط2 ،دار المعارف ،القاهرة 1919).
5. الأخضر شريط: مفهوم الانسان في فكر مالك بن نبي،تنظيم المجلس الاسلامي الأعلى،2003.
6. أيوب دخل الله:التربية الاسلامية عند الامام الغزالي،المكتبة العصرية،ط1،بيروت،1996 .
7. جون جاك روسو، أيميل، ترجمة نضمي الوفاء، دار النشر الشركة العامة، ط1، 1958م .

8. جون ديوي:الديمقراطيةوالتربية،تر:منى عفراوي وزكرياء ميخائيل،مطبعة لجنة التأليف،القاهرة،1946 .
9. جون ديوي:مدارس المستقبل،تر:عبد الفتاح المنياوي،مكتبة النهضة ،القاهرة،1962 .
10. حمد سعيد رمضان البوطي:منهج الحضارة الانسانية في القرآن،دار الفكر،ط1،دمشق،1998
11. حميدي لخضر:مشكلة التغيير عند مالك بن نبي،مذكرة لنيل درجة الماجستير الفلسفة،2005،منشورة
12. زروخي الدراجي:اشكاليات أساسية في مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية،دارصبحي،ط1،الجزائر
13. السحمراني أسعد:مالك بن نبي مفكر اصلاحي ،دار النقاش،ط2،بيروت،1986
14. العابد ميهوب :الفكر التربوي عند مالك بن نبي ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في علم الاجتماع ،2013،منشورة.
15. عاقل فاخر:معالم التربية،دار العلم للملايين،ط2 ،1980 .
16. عبد الرحمان ابن خلدون:مقدمة ابن خلدون،دار القلم،ط1،بيروت،1978
17. عبد الغني عبود:في التربية الاسلامية،دار الفكر العربي،القاهرة،1991 .
18. فتحي يكن : الشباب والتغير ، الزيتونة للإعلام والنشر ، ط1 ،باتنة ،1979
19. فوزية بريون: مال بن نبي عصره، وحياته ونظريته في الحضارة، دار الفكر، ط1،دمشق، 2010م .
20. محمد العبدة:مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي ،دار القلم،ط1،دمشق،2006 .
21. مد العطية الإبراشي، أصول التربية المثالية في أيميل، دار المعارف، القاهرة، ط1، د س.
22. يوسف حسين، واقع المسلمين وسبيل النهوض لهم في فكر مالك بن نبي، مجلة الموافقات عن المعهد الوطني لاصول الدين، العدد3، 1994م، خروبة الجزائر، ص: 353 .
23. يوسف حسين، واقع المسلمين وسبيل النهوض لهم في فكر مالك بن نبي، مجلة الموافقات عن المعهد الوطني لاصول الدين، العدد3، 1994 ، الجزائر.

ثالثا:المعاجم والموسوعات:

1. ابن منظور لسان العرب:مج3 ،مادة ربا،تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف،القاهرة،د
2. أندري لالاند:موسوعة لالاند الفلسفية،مج1 ،تر:خليل أحمد،منشورات عويدات،ط2،2001 .
3. جميل صليبا:المعجم الفلسفي،ج2،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1982
4. شوقي ضيف:معجم علوم النفس والتربية:ج1،الهيئة العامة،1984
5. مراد وهبة:المعجم الفلسفي،دار قباء الحديثة،القاهرة،2007 .

الخاتمة

هذه الدراسة القت الضوء عن أفكار مالك بن نبي في التربية من خلال المفهوم ، والاهداف والابعاد ،كما تطرقت الى الاخلاق والدور التي تلعبه فب بناء شبكة العلاقات الاجتماعية ، ارتبط الفكر التربوي عند مالك بن نبي بالبيئة الاجتماعية ،والثقافية ،فقد حيات مليئة بالمتاعب و كانت رحلته غزيرة في طلب العلم والمعرفة ،و التحدي الذي صنعه مكنه من الاحتكاك بثقافة الغرب و معرفة معطيات تفوقهم في مختلف المجالات ،الاجتماعية ،الاقتصادية ،السياسية ،التربية عند مالك تربية اجتماعية ليس الهدف منها تعليم الناس ان يقولوا ،أو يكتبوا أشياء جميلة ولكن الهدف هو تعليم كل فرد فن الحياة أي أن يعلم كيف يتحضر .

علاقة التربية بالثقافة عند مالك بن نبي جاءت في صيغة تربية –ثقافة أي تربية جاءت مرتبطة بالثقافة ،والثقافة تمثل مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته ،فالتربية هي ذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه و شخصيته ،و المحيط الذي يعكس حضارة معينة ويتحرك في نطاقه الانسان المتحضر .

كما يظهر من خلال البحث أن المجتمع الإسلامي لم يرق بعد الى مستوى الحضارة ، وهذا ما قصده مالك عندما قال في موضوع الحضارة أن المسلم لا يعيش ولا يتنفس الثقافة الملائمة له وإنما يحمل أمراض بيئته المختلفة .

البناء المادي أو تحقيق تنمية اقتصادية لا يتم تحقيقه إلا بالتربية ووجود إرادة قوية في صنع الحضارة ، بين مالك ان المجتمع الاسلامي يفتقد للأفكار ، فبناء الحضارة يتطلب أفكار لا أشياء كما بين أن الحضارة تحمل مضمون تربوي ذو طابع تغيري لذلك يجب أن يسعى الإنسان الى تغيير واقع المجتمع وهذا يتطابق مع قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيّرُ مَا بِأَنْفُسِّهِمْ** ﴾الرعد11

أن الدورة الحضارية عند مالك بن نبي تخضع لمبادئ معينة من خلال انتقالها من مرحلة تاريخية إلى أخرى على حسب طبيعة المبدأ السائد في كل مرحلة ، من سيادة مبدأ الروح ثم مبدأ العقل إلى سيطرة الغريزة تكمل الحضارة مرحلتها التاريخية ،وبالتالي يمكن للحضارة في مجتمع ما أن تعيد دورتها التاريخية من جديد بشرط إعادة تفعيل فالقيم الاخلاقية و الفكرة الدينية و قدرة الإنسان المسلم على التغيير من خلال فعاليته بدأً بنفسه ثم محيطه الاجتماعي .

الانسان هو رمز الفعالية و العطاء و الإنتاج لذلك فهو الذي يحرك التراب و يستغل الزمن و الإنسان هو الذي يوجه الأشياء و يبني الحضارة من خلال غرس الثقافة الدينية في ذات الفرد كما ان الوقت يمثل الزمن الذي تجري فيه الاحداث الانسانية و يتحرك فيه المجتمع و تتكون في مجاله الحضارة ،لذلك يجب ان نعطي للوقت أهمية و نسخره في خدمة المجتمع .

كما ان الافراد في حاجة الى عقيدة موحدة تنشئ العلاقات والقيم الاخلاقية و تبث في افراد المجتمع الشعور بالحاجة الى بعضهم البعض.

التربية هي عملية ادماج للفرد في المجتمع و تقوم بتأهيله لأداء دوره الاجتماعي المتلائم مع استعداداته الفطرية و مهاراته الخاصة أي اداء وظائفه و الدخول في شبكة العلاقات الاجتماعية إن التربية تساهم في ترقية سلوك الفرد و تجبره عن التخلي عن السلوكات المنافية للمبادئ الأخلاقية كما تساهم في إعداد شخصيته السوية من أجل أن يؤدي دوره في تحريك التاريخ.